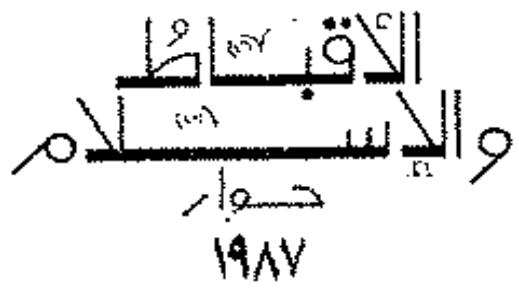


جامعة الإسكندرية



دار الشروق





الطبعة الأولى

١٤٠٧ - ١٩٨٧ م

جامعة جنوب الصعيد محافظة

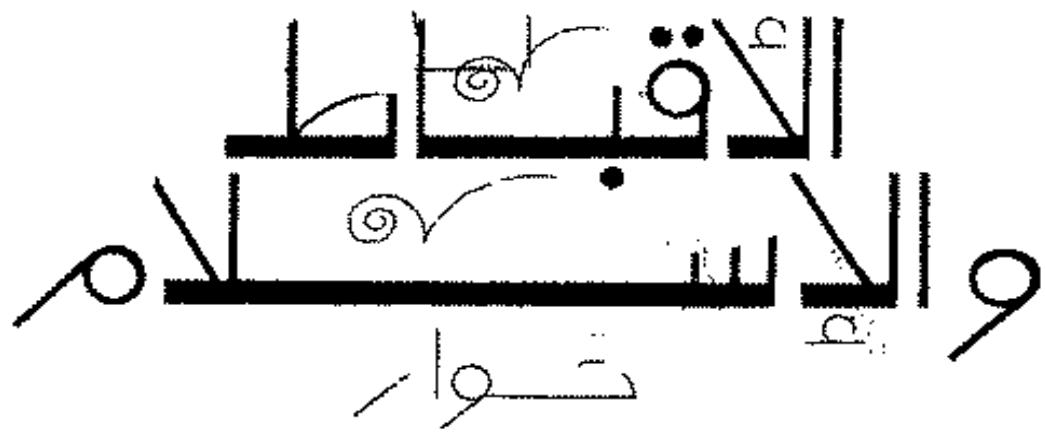
دار الشروق

القاهرة ١٦٣٦٤ حلوان حى - هاتف ٢٢١٣٦٣ - بريدا شروق  
للسكن ٩٣٩٦ SHIROK UN

ببيروت : ص.م.خ. ٦٠٣٦٥٦٥٦ - هاتف ٨٩٧١٦ - ٨٩٧١٧ - بريدا دشروق  
للسكن ٩٣٧٦ SHIROK 20175 LB

SHIROUK INTERNATIONAL 316/318 REGENT ST , LONDON W1 LK TEL 6372743/4

د. محمد سليم العروي



١٩٨٧

دار الشروق



# إهدا

إلى أحمد .. ولدك

أملأ في أن يستمسك بالحق فلا ينحرف عنه ..  
وفي أن ينحاز إلى أمة الوسط فلا يتطرف إلى غيرها ..  
وفي أن يؤمن بالاستقلال في الرأي فلا يقتله ..  
وفي أن يقدس حق الآخرين في ذلك كله فلا يتعصب .

دكتور محمد سليم العزا



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُولُوا إِنَّا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا إِبْرَاهِيمَ  
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى  
وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفُرُّ بَيْنَ أَهْدِ  
مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ (سورة البقرة : ١٣٦)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ لَمْ يُقْتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَا  
يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ  
اللَّهَ يُحِبُ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ  
الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ  
وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلُّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ  
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٠﴾ (سورة المائدة : ٩٠ - ١٠٠)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تقديم

تضم هذه الصفحات مجموعة المحوارات التي نشرتها « الشعب »  
الغراء - صحيفة حزب العمل - خلال شهري فبراير ومارس  
١٩٨٧ م.

وقد رأيت أن جمع هذه المحوارات في كليب خاص يوسع دائرة  
الاطلاع عليها . والانتفاع بها والرجوع إليها عند الحاجة . كما أن  
مسألة : « الأقباط والإسلام » التي تدور حولها هذه المحوارات مسألة  
متعددة . لن يكفي أعداء مصر المتربيسين بها عن السعي لإنارةها من  
حين إلى حين .

ومن المهم ، لذلك ، أن تكون كلمة الفريقين - المسلمين  
والأقباط - فيها مسموعة ومعلنة . ومحفوظة . فإنه إذا كانت الأجيال  
التي سبقتنا في الحياة على أرض هذا الوادي الطيب المبارك قد  
استطاعت دائماً أن تتجاوز محنتها وضيقان السفهاء من أبنائهما ، ليخلص  
الواadi لأبنائه ، مستظللين جميعاً بظل السماء التي يدين بالعبودية  
لخالقها أبناء الهلال وأبناء الصليب معاً ، فإن جيلنا ينبغي له أن يقول

للأجيال التالية كلامته ، ويعلن عقلاً الأمة جمِيعاً - مسلمين وأقباطاً -  
براءتهم وبراءة أهل دينهم - العارفين به والمتبعين لأحكامه - من هذا  
العدوان الآثم على أهل الأديان وأماكن العبادة المقدسة .

وتشيع على ألسنة المتحدثين وأقلام الكاتبين - كلما ذكر أمر  
المسلمين في علاقتهم بالخواصهم الأقباط - عبارة « عنصرى الأمة » ،  
وهي عبارة خاطئة موهنة .

خطأ لأن المصريين فيحقيقة الأمر عنصر واحد من وجهة نظر  
علم الأجناس ، وهو عنصر يمثل خلاصة اختلاط مستمر وتزاوج دائم  
بين سكان الوادي الأصليين ومنْ وفدو إلَيْه واستوطنه من مختلف  
شعوب العالم . وقد أصبح هذا الاختلاط امتراجاً وانصهاراً حتى إنه  
من الحال التفريق في أبناء مصر بين أصل وأصل أو فرع وفرع .

وهي عبارة موهنة لأنها توحى إلى السامع - على خلاف  
الحقيقة - أن هناك انفصالاً شعورياً . أو انغلاقاً اجتماعياً . أو مفارقة  
بيئته في العادات والتقاليد والأعراف . وكل ذلك غير كائن . والايحاء  
به غير صحيح .

بل لقد أثبت الأستاذ السنورى - رحمه الله - عبارة نقلها عن  
بعض الأساتذة الفرنسيين تدل على أن ذلك المعنى قائم مسلماً عند

علماء الاجتماع الغربيين . ونص هذه العبارة هو :

„عندما نستعمل اصطلاح الأمة (المجاعة Sociétéislamique فإنني لا أعني بذلك الإشارة إلى مجتمع من المسلمين فقط . وإنما أقصد بذلك مجتمعا له طابع فد من المدنية قدمها لنا التاريخ كثمرة للعمل المشترك ساهم فيه جميع الطوائف الدينية التي عاشت وعملت معاً جنباً إلى جنب تحت راية الإسلام – والتي قدمت لنا بذلك تراثاً مشتركاً لجميع سكان الشرق الإسلامي – بنفس الصورة ولنفس الأسباب التي اعتبرنا بها حضارة الغرب مسيحية وهي تراث مشترك لا يتجرأ ساهم فيه جميع الغربيين بما فيهم اللادينيون والمفكرون الأحرار والكاثوليك والبروتستانت .“<sup>(١)</sup>

ولا يحتاج إثبات هذا المعنى – من لا يقره – إلا معايشة المصريين والنظر في عاداتهم وأعرافهم . ليعرف أنَّه أمام شعب واحد . وعنصر واحد . وأمة مصرية واحدة .

في إطار هذا المعنى عاش المصريون المسيحيون والمسلمون حياتهم . وفي إطاره يستمرون – إن شاء الله – في بناء هضتهم

---

(١) نقلًا عن أوراق الدكتور السنوري التي يعدها الآن للمستر الأستاذ الدكتور توفيق الشاوي .

ومواجهة تحديات حاضرهم ومستقبلهم .

ومن أجل ذلك رأيت أنه من الواجب نشر هذا المجموع من المقالات شهادة لجيئنا : أن بعض أبنائه قد قالوا كلمة الحق . تساؤلاً وجواباً . وتبيناً وتبيعاً . لم تأخذهم في ذلك لومة لائم . ولم تغدهم نصيحة مشفق أو متخاذل .

ولا يجوز أن أغفل هنا عن ذكر دور الأخ والصديق والمفكر الأستاذ عادل حسين رئيس تحرير الشعب . الذي فتح صفحتها بلا تردد أمام هذا الحوار . في وقت عصيب بالنسبة لأية جريدة حزبية . فقد دار هذا الحوار في غمار معركة انتخابية هاسية حشمت فيها القوى السياسية كل طاقاتها . وكان لعادل حسين دور سيحفظه تاريخ مصر - حين يكتب - في تقديم مفهوم جديد للعمل السياسي العام في حزب العمل الذي يتسمى إليه ويرأس تحرير جرينته . وفي غيره منقوى السياسية التي تعمل على المساهمة الحادة الفاعلة في تحقيق التقدم المنشود . والغد المأمول لمصر كلها . والعرب جميعا . والبشر كافة .

والله من وراء القصد .

محمد سليم العزا

## الأقباط والسرعة الإسلامية الوضوح المطلوب\*

لاشك أن التيار الإسلامي في مصر والبلاد العربية يواجه الكثير من التحديات والمصاعب . وهذا باقرار رواد هذا التيار . وحسب أي نظرة موضوعية من خارجه . وأجيزة لنسبي أن أطرح هنا وجهة نظر في الأ، كمسئل مسيحي يعنيه تماسك البناء الوطني المصري الذي يق صامداًآلاف السنين ويتطلع إلى مستقبل أفضل .

إن معظم المتصابب والتحديات التي يواجهها التيار الإسلامي إنما ترجع إلى طرح للتصور الإسلامي للمحكم وتنظيم المجتمع . وهذا الطرح غير واضح وغير مقبول من عامة الناس وأركز هنا على خطأ فادح يقع فيه البعض عندما يظنون أن الأقباط والمسيحيين العرب

---

نعم تكلا - جريدة الشعب - ١٧ فبراير ١٩٨٧ . وقد أثار عادل حسين في العدد التالي من الشعب إلى تحفظه على بعض تصريحات الأستاذ نعيم تكلا ، وعلى الأخضر ما نقل عن زيارة لإسرائيل ومعه شاركته لعادل حسين في تحفظه على مثل هذا المسلط . بل مع إنكارى على من يقبلون أي تعامل مع العدو الصهيونى . فأنى أرى في مقال نعيم تكلا وجهة نظر فطية جديرة بالاهتمام بها والخوار حوطها .

عامة يرفضون الترعة الإسلامية الراهنة مجرد أنها إسلامية . أو يدافعون من تعصب مسيحي . هذا غير صحيح . فقد كان يمكن أن يكون الأقباط وغير المسلمين عموماً في منطقة الشرق الأوسط العربية أكثر الناس قبولاً وتأييداً لهذه الترعة الإسلامية لو طرحت نفسها بالشكل الإنساني والقومي والوطني الذي يقبله الجميع مستفيدة من إيجابيات وسلبيات طرح الفكر القومي العربي .

إننا عوضاً عن هذا نجد طرحاً منها متمنجاً يشير التساؤلات والمخاوف لدى المسيحيين والمسلمين على السواء .

كيف يراد للمواطن المسيحي أن يقبل ببساطة هذه الترعة التي تفتلع من الأساس دعائم وبديهيات المساواة الوطنية والإنسانية التي يحظى بها . ولا تقدم أى بديل واضح أو مقنع !؟

لقد غاب عنهم ذلك الطرح الإنساني والوطني الرحب الذي يجعل دعوتهم أكثر قبولاً . فاتهم أن الأهم الذي كان ينبغي أن يركزوا عليه هو أن يقنعوا بدعوتهم غير المسلمين قبل المسلمين ذاتهم . وأن ذلك وحده هو ضمانة نجاحهم الحقيق . وما يقدمون للعالم الخارجي بالشكل الذي يجره على احترامهم وعمل ألف حساب لهم .

لم يضعوا شيئاً من هنا في اعتبارهم . وبيدو أنهم رأوا أن حفنة من غير المسلمين لا يشكلون أي عقبة . ولا يهم على الإطلاق اقتناعهم بالنهج الإسلامي لأن المطلوب أن يخضعوا لا أن يقتنعوا ..

إننا نحن المسيحيين المشارقة ندرك بوضوح أن للحضارة الإسلامية فترات زاهرة أورثتنا جزءاً أساسياً من تكويننا الثقافي والقومي . ولقد كنا وسبيلاً أكثر العناصر توافقاً وفاعليّة في سياق الإسلام الحضاري القومي . والتزعة الإسلامية الراهنة أمامها امكانية لتحقيق أعظم النجاح وسنكون أول المنصوريين تحت لوائهما والفاعلين فيها بمحبوبة إذا لم تغب عنها بدهيات إنسانية ووطنية لانتصour مطلقاً أنها مما يتنافى مع روح الإسلام الأصيل .

فما الذي يمنع دعوة النهج الإسلامي الخلصين أن يعلنوا للمسيحيين المشارقة بكل الوضوح وبتفصيل دقيق مقنع : إننا نقدم لكم بالنهج الإسلامي كل ما أنتم متمسكون به في النهج الوطني القومي العلماني . بل ونزيد عليه وبضمادات أقوى ؟

أليس لديهم مقوله سوى إن هذا هو إسلامنا وعليكم أن تخضعوا له سواء اقتنعتم أم لم تقنعوا ؟

إن الأمر يبيننا وبينهم بسيط غاية البساطة ولا يتطلب كثير جدل .

ما الذي يمنعهم أن يعلنوها واضحة لنا (لسوء فهمنا بجهلنا طوا جسنا...)  
أن ما تمسكون به أنها الأخوة المسيحيون من مساواة وطنية وانسانية  
في ظل النظام القائم إنما نكفله لكم بال تمام ونزيره عليه مع ضمانات  
تستند إلى عدالة سماوية وليس أرضية؟

هل يوجد في الإسلام ما يتنافى مع تلك المقوله؟

لأنعتقد بذلك مطلقاً.

هل في تفوسهم غرض ما يتنافى مع تأكيد هذا المعنى؟  
لم يترك لنا البعض منهم إلا أن نشك في هذا.

إننا لانعمم وإنما نعني هؤلاء الذين لا يأبهون باقامة أي حوار  
معنا. ولا تعنفهم خاوفنا وتساؤلاتنا في شيء بل يفسروها التفسير  
الخطاطي كأنها اعتراض على أركان العبادة الإسلامية.

## **الأقباط والشريعة الإسلامية نعم للحوار والوضوح\***

في عدد الشعب الأخير (الثلاثاء ١٧ فبراير ١٩٨٧) نشر مقال أحسبه من أهم ما نشر في موضوعه في السنتين الثلاثين الأخيرة. وهو يقيناً أوضح ما نشر في الموضوع وأصرحه من جانب إخواننا الأقباط على الأقل.

المقال عنوانه : الأقباط والشريعة الإسلامية : الوضوح المطلوب والمقال يشير سبع قضايا . لا أريد أن الخصها لثلاً أهل بجودة عرضها ولا بسلامة منطقها . وأتحليل القارئ - لزاماً - إلى قراءة المقال في أصله المنشور في الصفحات السابقة .

والقضية المركزية في المقال كله تدور حول انعدام الحوار بين الداعين إلى تطبيق الشريعة الإسلامية وبين إخوانهم الأقباط خاصة . وغير المسلمين بوجه عام . وحول عدم وضوح ما يريدونه دعوة العودة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية .

---

\* دكتور محمد سليم العوا . جريدة الشعب ٢٤ فبراير ١٩٨٧ .

ولاشك أن الدعوة إلى الحوار دعوة نبيلة . يقبلها بل يطلبتها كل صاحب قضية يريد عرضها على الناس . ولاشك أن الدعوة إلى الوضوح دعوة إلى واجب يتحقق لأصحاب القضية - قبل غيرهم - أكبر فهم لقضيتهم . وأوسع انتشار لها .

ولكن السؤالين اللذين يتبعن علينا أن نجيب عليهما : من أى موقع يكون الحوار ؟ وهل تشتت (الأديبيات) المتداولة حول موضوعنا صدق دعوى عدم الوضوح ؟

في تقديرى أن الحوار بيننا وبين إخواننا الأقباط بوجه خاص . وبين غير المسلمين (المغارقة) بوجه عام يجب أن يقوم على أساس وقوفنا في موقع واحد : أعني هذا الوطن الشرقي - مصر وغيرها ... الذي ضمنا منذ كان لنا وجود ، وسيضمننا إلى يوم الدين . في هذا الوطن قامت لنا جميعا حضارة زاهرة . كان أحد عناصرها بل لا أغلى إن قلت : كان النظام الحاكم فيها . الموجه لنشاطها هو النظام الإسلامي أى الشريعة الإسلامية .

وهذا النظام هو تراثنا - جميعا - من حيث هو تاريخ . وهو ملكنا - جميعا - من حيث هو تراث عربي . أو شرق . نتسمى إليه بقدر ما يتسمى هو إلينا . وهو المكون الأساسي لتفكيرنا القانوني حين نشرع أو نقضي أو نتعامل فنتتفق أو نختلف ممتهنين من بعض

مفاهيمه ، أو مختلفين حول بعضها .

وإذا كان الشرق - بغير شك - ذا شخصية حضارية متميزة خصت فيمن يصطبغون بصبغتها المسلم والمسيحي واليهودي على سواء . فإن من أهم معالم هذه الشخصية الحضارية تميز النظام القانوني لنا بقيمه على أساس من الشريعة الإسلامية . ولم يكن هذا النظام - تاريجيا - قائماً في أى جزء منه على التمييز ضد أحد ولا لصالح أحد . وليس في قواعده ما يميز هذا التمييز . وليس فيمن يدعون اليوم إليه - على بصيرة - من يقرؤن وقوعه أو مشروعيته .

فليكن الحوار بيننا وبين إخواننا الأقباط - خاصة - إذن من منطلق أنهم لا يختلفون معنا في الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية إذ هي - على ما وصفت - تراثنا معا . والاستمساك بها واجبنا معا . ثم ليكن بيننا داخل نظام هذه الشريعة . وفي ظل أحكامها التي تكفل لنا استقلالنا الفكري والتشريعي واستمرار تميزنا الحضاري . ما شئنا من حوار حول ما شئنا من نقاط مادام كل منا - كما هو الواقع - سيحترم أصول عقيدة الآخر وخصوصيات الأحكام المترتبة عليها .

ولست أريد الافاضة في تفاصيل الجزئيات التي قد يدور الحوار حولها . وقد تتفق بعده ، وقد تختلف فتحتار - عندئذ - ماتراه

غالبيتنا بروح الأئحة الواعية والوطنية المخلصة . مراعين في الاختيار ما يوجه التطور العصري وما يتحقق للأمة تماستك ببنائها وقوتها كيانها واستقلال قرارها ..

ونحن واحواننا الأقباط - خاصة - وغير المسلمين الشرقيين - عامة - شركاء في هذه الأوطان التي فرقتها يد الاستعمار . وأضعفها اعتيادها - حتى اليوم - على دولة التي تتحكم في كل شيء حتى أقواتنا . وأنهكتها الصراع المستمر قريبا من نصف قرن مع الجريمة المغروسة سدا زعافا في جنبها : إسرائيل .

ولا يتحقق شيء خلاصنا من ذلك كله إلا وحدة أوطاننا هذه . وارتباطها بجامع يحقق سياسيا وقانونيا ما هو قائم عمليا . وثبت استمرار تاريخيا ، من وحدة شعوبها وتناصرها وتآخيها في كل لظرف ولو برغم إرادة الأنظمة . أو ضد هذه الإرادة في كثير من الأحيان .

فأى الطريقين أهدى وأحكم ؟ أن تكون معا أصحاب وطن قوى مرهوب الجانب عزيز الكلمة . وذلك هو ما تشره الوحدة التي ندعو إليها ونرحب في إقامتها على أساس أقوى من إرادة الحكام . ومن تقلبات أهواء الأنظمة : ندعو إلى إقامتها على أساس الإسلام

نفسه الذي يكفل لنا وحكامنا كل ما يتمنى مخلص لنفسه ووطنه ، كما  
كفل ذلك وحققه دائمًا .

أم نبقى كما نحن الآن : أشلاء متفرقة . ومزقاً متحاربة . لا يكاد  
يعرف لنا كيان واحد مستقر لا تهشه قوى الأعداء أو جهالات البناء أو  
غفلة الأصدقاء ؟

ولذا كان الإختيار – بلا تردد – هو اختيار القوة الوطنية ضد  
الضعف . والوحدة ضد التفرق . والعزة ضد الهوان . أفلًا يكون  
طبعياً أن ندعوا إخواننا الأقباط – خاصة – وغير المسلمين الشرقيين –  
عامة – إلى العمل معنا بقلوب متألقة وأيدٍ متكافئة لاعادة بحد الشرق  
ووحدته وعزته : « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء » .

وليوقن إخواننا الأقباط أن هذا الدعوه لانغيب عنها – كما تخوف  
الأستاذ نعيم تكلا في مقاله – بدهيات الإنسانية والوطنية . بل إن  
هذه البدهيات – وهي عند الناس اليوم مقررات قانونية تحميها  
نصوص بشرية متغيرة – وقد أطاح بها من شاء حين شاء بمحبوب زائف  
طاغ أصاب المسلمين والأقباط على سواء . أقول إن هذه البدهيات  
هي عند الداعين إلى سيادة الشريعة الإسلامية بعض عقائدتهم التي  
تحميها إيمانهم ويلزمهم بها إسلامهم .

ولهذا حديث مفصل يبدأ بأصول الإسلام . ويعرج على أهم ما يشير التخوف - النظري - من منقولات فقهاء الفقهاء . ويرتلى بحقائق التاريخ ويستضىء بروح الأخوة الإنسانية . وبينى على مقومات نجاح المشاركة الوطنية .. أرجو أن يتسع له صدر « الشعب » الغراء في بعض أعدادها القادمة .

---

وقد اتسع بالفعل . فنشرت خلاصة الدراسة المنشورة في الصفحات ٢٧ - ٣٥ من هذا الكتاب في عددين متاليين منها .

واجب الأقباط العاجل\*

### **القضية باللغة المخطورة :**

ولامفر من وضعها في صياغة كنا تؤثر أن نتحجيا

السلبية السياسية للأقباط التي افضت بهم إلى عزلة حقيقة عن المشاركة الواجبة في العمل السياسي.

إنتا لانعز على وتر الطائفية . وإنما ندق الجرس لنحذر من  
أوضاع خطأة هي التي تكرس الطائفية وتذهب بنا إلى خطأ  
فادحة .

لذلك أتوجه بالخطاب إلى إخوئي الأقباط وانا منهم وقد كنت أفضل في أي شأن وطني أن أتوجه بالخطاب إلى إخوئي المصريين غافلا عن أية هوية لهم سوى الانتماء لمصر والوطنية المصرية .

لاشك أن السيد الرئيسي لعزوف الأقباط عن المشاركة السياسية

حاجي جرجس - جريدة الشعب ٣ مارس ١٩٨٧ .

إنما يرجع إلى غياب الديمقراطية لسنوات طويلة . ولكن الأوضاع أخذت في التغير نحو الأحسن مع بداية السبعينيات . ومع بداية الثمانينيات أخذت التجربة الديموقراطية في مصر انعطافة حاسمة نحو الرسوخ كتجربة سياسية عصرية . ولا ينكر منصف أن مصر ٨٧ إنما تعم بمناخ ديموقراطي لم تنعم به من قبل ولا يحظى بأقل القليل منه وطن من الأوطان العربية الشقيقة .

فـ هـ ذـى فـعـلـهـ الـأـقـبـاطـ لـيـعـوـضـواـ عـنـ عـزـوفـهـمـ السـابـقـ ؟  
مـامـدـىـ اـسـتـفـادـتـهـمـ مـنـ فـرـصـةـ الـمـاتـحـةـ لـيـنـدـجـوـاـ فـيـ عـلـمـ الـوـطـنـ ؟  
يـوـسـفـىـ أـنـ أـقـولـ :ـ لـاشـىـ .ـ وـكـانـ الـأـوـضـاعـ لـمـ تـتـبـدـلـ وـالـمـاتـحـ لـمـ يـتـحـسـنـ .ـ

إن تواجد الأقباط في الأحزاب السياسية الراهنة تواجد دمى لا يمثل بأى حال حجمهم العددى ومكانتهم في المجتمع . ولذلك فقد أنت نتائج الانتخابات النيابية الأخيرة مؤسفة في هذا المجال مما اضطر الحكومة إلى تعيين أعضاء أقباط في المجلس النيابي لتسد الثغرة الفادحة في التمثيل السياسي للأقباط . ولكن في هذا لاتملك الحكومة أن تعين أكثر من خمسة أعضاء يضافون إلى من تم انتخابهم وتبقي الصورة ناقصة تبعث على التساؤل المحرّيز .

لماذا؟

السبب يمكن فينا يا إخوتي قبل أن يرجع إلى أي عوامل خارجية أخرى . إنه نظرية للأمور وعقلية ووجدان صاغتها أجيال طولية من المعاناة . ولكن الشعوب الناضجة تغير دائماً من ذاتها للتلاءم مع المتغيرات من حولها . إن الظروف التي أدت إلى الكون في التحسيسات والستيسيات من القرن الحالي بعد مشاركة فعالة بجيوية عارمة طوال النصف الأول من هذا القرن . أقول إن هذه الظروف هي غير الظروف التي تتبدى أمامنا الآن والتي لا يمكن أن تتجاوب معها بذكاءة وجدان عصور سابقة .

إن غياب الأقباط عن المشاركة في العمل السياسي الآن إنما يشكل خطراً فادحاً لا ينهدد الوجود القبطي وحده وإنما الوجود المصري بأكمله ومن هنا فإن الشأن يصبح وطنياً ومسئولة الأقباط مسئولة وطنية تجاه الوطن ومجتمع الأمة قبل أن يكون تجاه الطائفة .  
أناشد إخوتي الأقباط .

تجاوزوا هذا الموقف الحامد المقيت وإندفعوا بجيوية وجسارة إلى الساحة الرحبة التي تسع لكم مع إخوتكم في الوطن وهي وحدها التي تصيرنا في بوتقة واحدة كنا صيرتنا من قبل بوتقة الدفاع عن الوطن في ساحة الحرب .

ليكن الانضمام إلى حزب من الأحزاب القائمة مسؤولية أساسية  
لدى كل واحد منكم وواجبًا ملحاً .

ربوا أبناءكم على هذا الوعي فهو ضمانتهم الحقيقية للمستقبل .

إننا يا إخوتي لا نشكوا ولا ننتظم .

لأنطاب ولا نريد لأنفسنا معنا .

ولإنما ندخل إلى ساحة من الالتزامات والمشقات .

لأنهروا من هذه الساحة لأنه لا أمان ولا استقرار خارجها .

كل القصور المشيدة خارج هذه الساحة مشيدة على رمال ويمكن  
أن تجرفها أية موجة أو ريح .

يرفعوا أصواتكم يا إخوتي ببلاغة جديدة غير التي تعلمناها من  
خطباء التقى وحكماء الحروف .

بالوضوح والصراحة والمشاركة تكسبون ثقة ومحبة إخوتكم في  
الوطن .

ومرة أخرى .

المسؤولية وطنية في المقام الأول فاحملوها على عاتقكم ولا تتوانوا  
وتطلعوا للمستقبل ..

## النظام الإسلامي ووضع غير المسلمين\*

● النظام الإسلامي هو النظام القائم على الشريعة الإسلامية . المؤسسة تفاصيله على وفق قواعدها في الاجتهاد والاستباط والتفصير والتأويل . وغير المسلمين هم شركاء المسلمين في الوطن منذ كانت للإسلام دولة : دولة الأولى في المدينة المنورة ودوله التي توالى أيامها بعد انتقال النبي صل الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى . وحتى يوم الناس هذا .

ولعله من الغنى عن البيان أن من سن الله في الاجتماع البشري أن يتواجد فيه أهل مختلف الملل والنحل كما يتواجدون أهل مختلف الألسنة والألوان وهم جميعاً أخوة لأب وأم . وإن تباعد بمعانى الأخوة الإنسانية طول الأمد بين الأصول والفرع .. ولقد فرر القرآن الكريم هذه الحقيقة في قوله تعالى :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً

---

دراسة للدكتور محمد سليم العوا . نشرت خلاصتها في جريدة الشعب ٣ مارس و ١٠ مارس ١٩٨٧ .

وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم »<sup>(١)</sup>  
وفي حديث المصطفي صلى الله عليه وسلم يوم حجة الوداع  
خاطب الناس جميعاً بقوله :  
« يا أيها الناس إن ربكم واحد . وإن أباكم واحد . كلكم  
لآدم وآدم من تراب »<sup>(٢)</sup>

### ١ - أصول ثلاثة :

على هذه الأصول الثلاثة أفت نظرى في هذا الموضوع وإليها يرد كل ماتضمنته هذه الدراسة من أفكار وأراء . يستوى في ذلك ما هو اجتہاد أتحمل تبعاته وحدي . وما هو ترجیح لرأى سابق من الفقهاء بالاجتہاد فلى نقله . ولصاحبہ فضلہ وأجرہ .

**الأصل الأول :** تحکیم نصوص الشريعة الواردة في القرآن الكريم والسنّة الصحيحة : فما جاء في هذه الأصول فالعمل به واجب . وما وافقها فالعمل به صحيح . وما خالفها مما ليس منها فهو على أصحابه رد . والعمل به اجتہاد بشري . لصاحبہ إن كان مجتہداً . أو مؤهلاً للاجتہاد . أجره . وعليه إن لم يكن كذلك إنما وزرہ .

**الأصل الثاني :** قبول ماقتضيه المشاركة في الدار . أو الوطن

بتعبيرنا العصرى . فكل ما حقق صالح المشتركين معا فيه جاز . وكل ما أهدرها فهو بالاهدار أول وأحق . وقد قعد هذه القاعدة الأصوليون والفقهاء حين قرروا : أن الشريعة مبنية على جلب المصالح ودرء المفاسد . وإن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح . وكل تصرف تقاعدى عن تحصيل مقصوده فهو باطل .<sup>(٣)</sup> ولا يبعد من يقول إن هذه القواعد محل اتفاق الفقهاء على اختلاف مذاهبهم وتنوع منازعهم في الاجتهاد والفتيا والاستنباط .

## ٢ - الأصول القرآنية :

فأما القرآن الكريم فإن دستور العلاقات بين المسلمين وغيرهم فيه يئن قوله عز وجل :

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم . أن تبروهم . وتقسّطوا إليهم . إن الله يحب المقصطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم . وظاهروا على إخراجكم . أن تولوهم . ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون »<sup>(٤)</sup>

والبر : هو الفضل والخير . والقسط : هو العدل<sup>(٥)</sup> فيها بنس القرآن الكريم مطلوبان من المسلم للناس كافة . بل للخلق كافة . ويستوي في ذلك من الناس من آمن بالإسلام ومن كفر به . اللهم إلا إذا كانوا يقاتلونه في دينه . ويخرجونه من داره أو يظاهرون على إخراجه .

وهذا الدستور القرآني عام يشمل غير المسلمين أيًا كان دينهم أما أهل الكتاب : اليهود والنصارى فلهم أحکام أكثر تفصيلاً مما يليق بهم من البر وما يحوز . بل ما ينذر القرآن إليه . من المود .

فطعامهم للMuslimين مباح . وطعام المسلمين مباح لهم . وهل

يستقيم الجوار في الدار وأحد الجارين ممنوع من تناول طعام جاره ؟ !

« وطعام الذين أتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم . والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أتوا الكتاب من قبلكم فإذا آتيموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخدلي أخذان »<sup>(٦)</sup>

ونكاح نسائهم جائز . وإن منع الإسلام رجالهم من التزوج بنساء المسلمين فما ذلك إلا فرع لأصل قوله الإسلام في تنظيم الحياة الزوجية : أن القوامة والرئاسة فيها للرجل . وهو لا يؤمن بالإسلام فكيف يؤمن على المسلمة أن تكون له زوجا . وهي مكلفة أن تقيم شعائر دينها . وتنطع ربهما <sup>(٧)</sup> وبعض الطاعات وبعض المنيات متصل أوthon اتصال بالحياة الزوجية . وبعضها متعلق بأنحصار خصائص العلاقة بين الزوجين . أما المسلم حين يتزوج الكتابية فهو مؤمن بدينهما . مصدق بكتابها . موقر لنبيها . لا يتم إيمانه إلا بذلك كله . فلما خشية على دينها تكون منه ؟

وحياة المشتركين - في البيت أو الوطن - لا تخلو من مسائل تثير الجدل ويدور حولها النقاش . فعندئذ يكون ميزان المسلم الذي يزن به ما يدخل له وما لا يدخل هو قول الله تعالى :

« ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بما تهى أحسن ، إلا الذين ظلموا  
منهم . وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم  
واحد . ونحن له مسلمون »<sup>(٨)</sup>

وهذا النص القرآني وإن كان عاما في كل جدل يتصور وقوعه  
بين المسلمين وأهل الكتاب . فإن أولى ما يتبع فيه حين يكون الجدال  
في أمر ديني . تجنبه لايغار الصدور . وإيقاد نار العصبية والبغضاء في  
القلوب <sup>(٩)</sup> بل إن عفة النساء : واجبة على المسلم حتى مع المشركين من  
عبدة الأوثان . ففضيهم نزل قول الله تعالى :

« ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله . فيسبوا الله عدوا بغير  
علم »<sup>(١٠)</sup> .

وفي القرآن الكريم نصوص عديدة تنهى عن موالة غير المسلمين  
أو غير المؤمنين . منها قوله تعالى :

« لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل  
ذلك فليس من الله في شيء . إلا أن تتقوا منهم تقاة . ويحذركم الله  
نفسه . وإلى الله المصير »<sup>(١١)</sup> .

وقوله سبحانه :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين

أتريدون أن تجعلوا الله عليكم سلطاناً مبيناً »<sup>(١٢٤)</sup>

وقوله تعالى :

« لا تجحد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشرينهم ». <sup>(١٢٥)</sup>

هذه الآيات ونظائرها . وهي كثيرة . تقرر أصلاً قرآنياً خاصاً بوجهة الولاء : ملئ يكون ولاء المسلم ؟ وأين يقف حين يقع التزاغ أو يختدم الصراع أو تورى الحرب زندها بين المؤمنين والكافرين ؟ والجواب في القرآن الكريم صريح قاطع . إن المؤمن لا يوالى - حيثما - إلا الله ورسوله والمؤمنين .

وهذا الأصل محافظ بالضوابط التي تحول دون تحوله إلى عداوة دينية أو بغضاء عقائدية . أو فتنة طائفية : <sup>(١٢٦)</sup>

١ - فالنهي ليس عن اتخاذ المحالفين في الدين أولياء بوصفهم شركاء وطن أو جيران دار أو زملاء حياة . وإنما هو عن تحولهم بوصفهم جماعة معادية للمسلمين تتحذى من تميزها الدينى لواء تستجمع به قوى المناورة للمسلمين والمحادة لله ورسوله .

ولذلك تكررت في النصوص القرآنية عبارة « من دون المؤمنين » للدلالة على أن الم الولاية المنهى عنها هي المولاية التي

يترتب عليها انحياز المؤمن إلى معسكر أعداء دينه وعقيدته . من حيث هم أعداء هذا الدين وهذه العقيدة .

٢ - إن المُوادَّة المنهى عنها هي موادَّة المخالفين لله ورسوله ، لاموادة بعمرد المخالفين ولو كانوا سلماً للمسلمين . فقد ربط القرآن الكريم النهي عنها في سورة المحادلة بالمخادعة لله والرسول . وفي سورة المتحدة باخراجهم الرسول والمؤمنين من ديارهم بغير حق :

« يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم » .

٣ - إن غير المسلم الذي لا يحارب الإسلام قد تكون مودته واجبة وصلته فريضة ربيبة . وذلك شأن الزوجة الكتافية وأهلها الذين هم أحوال أبناء المسلم وجدته وجده . وكلهم من الأرحام الذين صلتهم واجبة على المسلم . ومودتهم قربة يراد بها وجه الله تعالى . وقطع لهم ذنب وإثم . ويكفي هذا مافي الحديث السادس :

« المرحم مني .. من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته »<sup>(١٥)</sup>

وشأن الحمار . الذي يلغى من تكرار جبريل الوصية به أن ظنَّ النبي أن الله سيجعل له في الميراث نصيباً : « ما زال جبريل يوصي بالحمار . حتى ظنت أن سبوره » .

٤ - إنه لاشك في أن الإسلام يعلى الرابطة الدينية على كل رابطة سواها . فالمسلم أخو المسلم . والمؤمنون أخوة . والمسلم أقرب إلى المسلم من أى كافر . ولو كان أباه أو أخيه أو ابنه . ولكن ذلك لا يعني أن يلقى المسلم بالعداوة إلى غير المسلم مجرد المخالف في الدين أو المغایرة في العقيدة . بل الأصل هو المودة والبر . والاستثناء - عندما تقوم دواعيه وأسبابه - أن يمتنع المسلم عن موالاتهم أو مودتهم . انتصاراً لدينه . وانحيازاً لأهل عقيدته .

هكذا فصل القرآن الكريم في أصول العلاقات بين المسلمين وغيرهم وعلى هدى هذه الآيات ينبغي النظر إلى تنظيم هذه العلاقات وتقويم ما كان منه في تاريخنا وتراثنا . وتوجيه ما يكون في حاضرنا ومستقبلنا . فكيف صنعت السنة ؟

### ٣ - صنيع النبوة :

كان أول لقاء بين الإسلام - نظاماً للدولة - وبين غير المسلمين - مواطنين في الدولة الإسلامية - هو الذي حدث في المدينة المنورة غداة هجرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليها .

هناك كتب النبي - صلى الله عليه وسلم - أو أمر بكتابه - الصحيفة التي يعرفها التاريخ الإسلامي السياسي باسم : صحيفـة

المدينة . أو دستور المدينة أو كتاب النبي إلى أهل المدينة .<sup>١٦٢</sup> فماذا  
فيها عن غير المسلمين ؟

نقرأ في هذه الوثيقة التي أنشئت بمقتضاها أول دولة إسلامية في  
التاريخ أنها :

- كتاب من محمد النبي رسول الله . بين المؤمنين وال المسلمين من  
قريش وأهل يثرب . ومن تبعهم فل الحق بهم . وجاهد معهم .

- إنهم أمة من دون الناس .

- وأن من تبعنا من يهود . فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا  
متناصر عليهم .

- وأنه لا يغير شرك مالا لقريش ولا نفسها ولا يحول دونه على  
مؤمن .

- وأن اليهود يتلقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .

- وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين . لليهود دينهم . وللمسلمين  
دينهم موالיהם وأنفسهم : إلا من ظلم وأثم .

ثم تُعدَّ الوثيقة : الوثيقة النبوية . تسع بطون من اليهود بأسمائهم  
فتقرر أن هم مثل ما يهود بنى عوف . وتضييف أن موالיהם وبطانتهم  
كأنفسهم .

وأن بينهم النصح - هم وال المسلمين - على من حارب أهل هذه الصحفة وأن بينهم النصر والتوصية . والبر دون الإثم . وأن يهود الأوس موالיהם وأنفسهم . على مثل ما أهل هذه الصحفة وأن البر دون الإثم . وأن الله على أصدق ما في هذه الصحفة وأبره .

فهذه الوثيقة تجعل غير المسلمين المقيمين في دولة المدينة مواطنين فيها . لهم من الحقوق مثل ما للMuslimين . وعليهم من الواجبات مثل ما على المسلمين . ويجب أن نقرن إلى هذه التصووص - التي طبقت بالفعل حتى نقض اليهود وعدهم وخانوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فحاربهم - التوجيهات النبوية :

- « من آذى ذميا فأنا خصمه ومن كنت خصمه خصمه يوم القيمة »

- « من آذى ذميا فقد آذاني . ومن آذاني فقد آذى الله »

- « من قتل معاهدا (أى ذميا) لم يرح رائحة الجنة . وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما »<sup>(١٧)</sup>

والعهود التي كتبها صلى الله عليه وسلم إلى بعض أهل الكتاب بجدية بالنظر فيها : نظر اقتداء واتباع . فقد كتب إلى أهل نجران : « ... ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على

أموالهم وأنفسهم وأراضيهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم ... وكل ماتحت أيديهم من قليل أو كثير . لا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته . ولا كاهن من كهانته ... ولا يطأ أرضهم جيش . ومن سأل منهم حقاً فيهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين ..<sup>(١٨)</sup> ومثل ذلك في كتاب خالد إلى أهل الخبرة . وقد آتى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب . واعتبره الفقهاء - بتعبير الإمام أبي يوسف في خراجه - نافذا على ما أنفذه عمر إلى يوم القيمة .<sup>(١٩)</sup>

ولاشك عندنا في أن الأحكام النبوية الخاصة بمعاملة غير المسلمين يجب أن تتخذ معياراً للحكم على الآراء الفقهية المختلفة في هذا الخصوص فما وافق هذه الأحكام من اجتهاد للفقهاء جاز لنا أن نأخذ به - إن حق المصلحة في عصرنا - وما تعارض معها أو تناقض فلا ترتيب علينا إن طرحناه جانباً - عند الاجتهاد في تنظيم الدولة الإسلامية الحديثة - وأسقطناه من حسابنا .

٤ - الذهمة عقد لا وضع :

الدمة في اللغة هي العهد والأمان والضمان<sup>(٢٠)</sup>. وهي في الأصطلاح الفقهي عقد مؤيد يتضمن إقرار غير المسلمين على دينهم . وتمتعهم بأمان الجماعة الإسلامية وضمانها بشرط بال لهم الجزية وقبوهم أحكام دار الإسلام في غير شؤونهم الدينية .<sup>(٢١)</sup>

وهذا العقد يوجب لأطرافه حقوقاً متبادلة . أو حقوقاً لكل طرف وواجبات عليه . ولكننا قبل أن نمضي في الإشارة إلى هذه الحقوق والواجبات نقرر الحقائق التالية :

أولاً : إن « فكرة عقد الذمة » ليست فكرة الإسلامية مبتداة . وإنما هي مما وجده الإسلام سائعاً بين الناس عند بعثة النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(٢٢)</sup> فأكسيه مشروعية . وأضاف إليه تخصيصاً جديداً بأن حزول الذمة من ذمة العاقد أو المجير ، إلى ذمة الله ورسوله والمؤمنين . أي ذمة الدولة الإسلامية نفسها . وبأن جعل العقد مؤبداً لا يقبل الفسخ – مادامت الدولة الإسلامية التي أبرمته قائمة – حماية للداخلين فيه من غير المسلمين .

ثانياً : إن الجريمة – وقد كتلت تعليقات الفقهاء وتأوّلاتهم لها – لم يكن ملازمة لهذا العقد في كل حال كما يوحى بذلك . بل يصرح . تعريفه الفقهي . وأصح أقوال الفقهاء في تعاملها أنها بدل عن اشتراك غير المسلمين في الدفاع عن دار الإسلام . لذلك أسقطتها الصحابة والتابعون عمن قيل منهم الاشتراك في الدفاع عنها<sup>(٢٣)</sup> : فعل ذلك سراقة بن عمرو مع أهل أرمينية سنة ٤٢ هـ<sup>(٢٤)</sup> وجحيب بن مسلمة الفهري مع أهل

انطاكية<sup>(٢٥)</sup> ووقع مثل ذلك مع الجراجمة - وهم أهل مدينة تركية - من الروم في عهد عمر رضي الله عنه . وأبرم الصلح مندوب أبي عبيدة بن الجراح وأقره أبو عبيدة فيمن معه من الصحابة<sup>(٢٦)</sup> . وصالح المسلمون أهل التوبية على عهد الصحابي عبد الله بن أبي سرح على غير جزية بل على هدايا تبادل بين الفريقين في كل عام<sup>(٢٧)</sup> وصالحوا أهل قبرص في زمن معاوية على خراج وحياد بين المسلمين والروم .<sup>(٢٨)</sup>

ومن هنا نقول : إن غير المسلمين من المواطنين الذين يؤدون واجب الجنديـة . ويـسـمـونـ فـي حـمـاـيـة دـار الإـسـلام لـاتـجـبـ الخـزـيـة عـلـيـهـم .

وفي بعض كتب الفقه تصوير يأبه العدل الإسلامي . وترفضه النفوس الكريمة لكيفية أخذ الجزية - عند وجوبها - من غير المسلمين - وهذا التصوير مما لا أصل له في الإسلام . وقد صدق الإمام النووي حين قال : ( هذه الهيئة المكرورة ) باطلة . ودعوى استحبابها أشد خطأ<sup>(٢٩)</sup> .

ثالثا : إن الدول الإسلامية القائمة اليوم تمثل نوعاً جديداً من أنواع

السيادة الإسلامية لم يعرض لأحكامه الفقهاء المُقلدون لأنه  
لم يوجد في أزمانهم .

وهي السيادة المبينة على وجودأغلبية مسلمة . لا على فتح  
هذه الدول بعد حرب بين المسلمين وأهلها . وهذه الأغلبية  
شاركتها في إنشاء الدولة وإيجادها أقلية أو أقليات غير مسلمة  
فكيف تكون أوضاعها ؟

إن هذه الصورة الحالية للدولة الإسلامية تقتضي اجتهدادا  
يناسبها في تطبيق الأصول الإسلامية عليها واجراء الأحكام  
الشرعية فيها .

وهذا إجمال يحتاج إلى تفصيل فنقول :

إن الدولة الإسلامية التي قامت بعد عهد الرسول صلى الله عليه  
 وسلم . وفتح الله على خلفائها في حقبها المتتابعة ما يعرف اليوم بالعالم  
 الإسلامي . وهي الدولة التي طبقت فيها الأحكام الشرعية والفقهية  
 المدونة في كتب الفقه إلى اليوم . هذه الدولة قد انقضت بانحسار  
 سلطان الخلافة الإسلامية . عن معظم أجزائها وسيطرة الاستعمار  
 الغربي عليها . وانقطاع العمل بأحكام الشريعة فيها .

وقد قاومت الشعوب هذه الموجات الاستعمارية . على عتها  
 وجبروتها . مقاومتها بلغ مدتها عشرات من السنين . بل جاوزت في

بعض الأحيان قرناً كاملاً من الزمان . وشاركه فيها . حيث كان في الشعب مسلمون وذميون . الفريقان جمعياً . فخاضاً معارك المقاومة معاً ، وقتل أبناءهم بيد الطغيان الأجنبي أو طغيان العملاء المحليين معنا . ومن مسلسل المقاومة المستمرة . وقوة الصمود المتتجدة . وحركة التاريخ الذي يداول الله سبحانه وتعالى بين الناس أيامه . من ذلك كله نشأت الدول الإسلامية القائمة اليوم .

روى شجرة استقلالها أبناءها جميعاً بدمائهم . ودعا إلى حريتها وعمل لها المفكرون والسياسيون منهم جميعاً . وخرج الاستعمار أو أخرج من جل الوطن الإسلامي الذي تعددت فيه الدول . فكيف يصنع أبناءها ؟ هل يقتلون حتى تخاص الدار بعضهم والذمة للآخرين ؟ أم يتعارفون ليرثوا بأوطانهم . ويحفظ بعضهم حق بعض . وتهتمي أغلبهم المسلم في ذلك بكتاب ربها وصنع نبأها بدلاً من أن تستمبك باجتهادات ناسبت الزمن الذي صيغت له ولم تعد تناسب أزمانها ؟

ذلك هو الذي يوجه تحقيق مصالح الأمة . وذلك هو الذي يدل عليه النظر إلى فعل الصحابة رضوان الله عليهم في غير حالة من حالات تعاملهم مع غير المسلمين . بل ذلك هو عين ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم حين أنشأ في المدينة دولة الإسلام الأولى .

ولأنشك لحظة . ولا مادونها . أنه لو لا نقض يهود المدينة عهدهم .  
وغدرهم بالنبي وال المسلمين ليق العهد محترما وفاة من النبي صل الله  
عليه وسلم بعهده . وأداء الحق شركائه فيه . لكنهم خانوا فعوقبوا .  
وغدرروا - والغدر لازال من شيمهم - فطردوا من المدينة إلى غير  
رجعة إن شاء الله .

والشأن في النص القرآني المقرر للجزية - عندنا - كالشأن في  
النص القرآني المعدد لمصاريف الزكاة . فقد أجمع الصحابة موافقين  
لعم رضي الله عنه على عدم اعطاء المؤلفة قلوبهم ما طالبوا به من  
سهمهم من الزكاة لأن الله قد أعز الإسلام وأغنى عنهم . وقال  
الفقهاء : اجماع صحيح . ورأى فقهى سديد لأن للحكم علة دار  
معها . فحيث توجد يوجد الحكم . وحيث تنتهي ينتهي الحكم .<sup>(٢٠)</sup>

وكذلك الجزية . عللها الفقهاء في أصح أقواهم بعدم مشاركة  
غير المسلمين في المجتمع الإسلامي في الدفاع عنه . ونصوا على  
سقوطها بقبولهم المشاركة فيه<sup>(٢١)</sup> . وقد فعلوا .

ورتبها النص القرآني على حال القتال الذي ينتهي بأداء أهل  
الكتاب لها وهي حال لم تعد قائمة اليوم .

فيبي النظر إلى مصلحة المسلمين ، بل إلى مصلحة الأمة جمِيعا

بأنباءها كافة . أن تتعاون وتساند . فتنمو وتقوى وتهض . بدلا من أن تتعادى وتتباغض فتمكّن لأعدائها من نفسها بتنازعها المؤدي لفشلها وذهاب ريحها وفقدان هيئتها وقوتها .

## ٥ - الحقوق والواجبات :

في ظل تطبيق أحكام عقد الذمة ثبتت به حقوق أهلها . تقوم كلها على قاعدة أصلية : أن لهم مثل ما لل المسلمين . وعليهم مثل ما على المسلمين إلا ما استثنى بنص أو اجماع . وذلك هو مقتضى الشركة في الوطن الواحد . فأول الحقوق هو تنعمهم بحماية الدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي . التي تشمل حمايتهم من كل عدوان خارجي . ومن كل ظلم داخلي .

فاما الحماية من العدوان الخارجي فيجب لهم ما يجب للمسلمين . ويجب على الحاكم المسلم أن يوفر هذه الحماية لهم ( ولو كانوا منفردين بيد ) لأن أحكام الإسلام جرت عليهم ، وتأيد عقدهم ، فلزمهم ذلك كما يلزمهم للمسلمين .<sup>(٢٢)</sup>

بل لقد نص الفقهاء بسان ابن حزم الظاهري - على أن (من كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح ، ونحوت دون ذلك ، صوناً لمن هو

في ذمة الله ورسوله . فإن تسلیمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة )  
ويعلق القرافي - المالکي - على هذا النص فيقول : ( فعند يؤدى إلى  
اتلاف النفوس والأموال صوناً لافتراضه عن الضياع : إنَّه  
لعظيم ) . <sup>(٣٣)</sup>

وحيث كانت القيادة الفقهية الراسدة آخذة مكانها الصحيح فـ  
سلم القيادة الإسلامية استمسكت بذلك حتى أصرَّ شيخ الإسلام ابن  
تيمية على اطلاق من في أسر التتار من أهل الذمة مع اطلاق  
المسلمين ، فقال لقائد التتر ( لأنرضي إلا بافتتاح جميع الأسرى من  
اليهود والنصارى فهم أهل ذمتنا ولا ندع أسيراً لا من أهل الذمة .  
ولا من أهل الملة ) . <sup>(٣٤)</sup>

وأما الظلم في العلاقات الداخلية . فقد تكاثرت على تخريجه  
نصوص القرآن والسنّة . ونطقت باستنكاره في خصوص أهل الذمة  
أحاديث رسول الله عليه وسلم والآثار عن أصحابه . حتى  
صرح غير واحد من الفقهاء بأن قواعد الإسلام تقضي أن ظلم الذمي  
أشد إثماً من ظلم المسلم . <sup>(٣٥)</sup>

وحق الحماية يشمل الدماء والأنفس والأموال . حتى قال على  
رضي الله عنه ( من كانت له ذمتنا فدمه كدمنا وديته كديتنا ) . <sup>(٣٦)</sup>

وفي الفقه آراء تختلف وتتفق . يتمخيز منها الناظر ما وافق هذه الأصول فيقبله . ويرد مالا يوافقها ولا يعمله . والأمثلة على ذلك كثيرة .

فأصح القولين أو الأقوال : حرمة ما هم ولو لم يكن متقدوماً في نظر الإسلام كالخمر والخنزير . وجواز اقامة دور العبادة التي يتبعدون فيها . وقبول شهادتهم إلا في الأمور الدينية للمسلمين من نحو الزواج والطلاق وما يحرى بمحاربها . وجواز أمان الفرد منهم موقوفاً على اجازة الإمام فإن لم يجزه وجب عليه رد المؤمن إلى مأمنه . و يجب ضمان الحياة الكريمة لهم عند الكبر . بل إن ذلك من فروض الكفايات : إذا عجز عن القيام به بيت المال وجب على المسلمين كافة لا يسقط إلا بأدائه ويجب . على الأصل نفسه . فلث أسراهם من أيدي المغاربين . والحق جواز تولي القادر منهم الوظائف العامة في الدولة إلا ما كان ذا صبغة دينية كالامامة ورئاسة الدولة وقيادة الجيوش في الجهاد والولاية على الصدقات ونحوها .

ومع هذه الحقوق - أو مقابلها - يثبت عقد الذمة ثلاثة واجبات على أهل الذمة :

أوها : أداء التكاليف المالية من جزية وخرج وضرائب وغيرها . وقد بُيّنا حقيقة الجزية ، وهم في تكليفهم بالخرج والضرائب

الأخرى سواء وال المسلمين فليتوافر فيها شئ يحجب باختلاف الديانات . وإنما تجحب على أنواع الأموال والتجارات والأراضي المزروعة دون نظر إلى صاحب أي منها : أسلم هو أم غير مسلم .

وثانيها . التزام أحكام القانون الإسلامي . لأنه قانون الدولة التي هم مواطنوها . ويحملون جنسيتها . وهذا كما يجب عليهم بحسب على المسلمين من أبناء الدولة . فلامزية فيه لأحد . ولا نقص يدخل به على أحد .

وثالثها : مراعاة شعور المسلمين . فلا يجوز لهم أن يسبوا الله ولا رسوله ولا دينه ولا كتابه جهرة . ولا أن يروجوا من الأفكار ما ينافي عقيدة الدولة مالم يكن ذلك جزءاً من دينهم كالشلل والصلب عند النصارى .<sup>(٣٧)</sup> وعلى أن يقتصروا في ذلك على أبناء ملتهم . لا يذيعونه في أبناء المسلمين ليفتنوهم عن دينهم .

وهذا الواجب يقابل الواجب الملقى على المسلم ديناً باحترام ديانات الأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم . وبالامساك عن جدال أهلها إلا بالتي هي أحسن . وبالاحسان إليهم أداء حق ذمة الله ورسوله والمؤمنين . وإذا انتقلت تلك الحقوق والواجبات في الدولة الإسلامية العصرية من النطاق العقدي إلى النطاق الدستوري . فإن ذلك لا يؤثر بشئ في التزام الدولة الإسلامية العصرية بها : قضاة من

حيث هي واجب أو حق دستوري . وديانة من حيث هي راجحة في  
أصل تقريرها إلى وضع ديني . وفي ذلك مزيد تحقيق لمصلحة غير  
المسلمين في الدولة الإسلامية . وزيادة ضمان لحماية حقوقهم . فأن ما  
أوجبه الدين لن يستطيع حاكم مسلم أن يتحمّل منه أو يجاهر بعدها  
عليه أو انكار له .

## ٦ - في خلل الأخوة :

إن الذي يدرس نظاما طبق في دنيا الناس أكثر من عشرة قرون  
لا ينصف إن لم يدرس مع أحكامه النصوص آثاره المطبوعة في  
القلوب . الماثلة في حُقُّ العلاقات بين الخاضعين لهذه الأحكام .  
وإذا كان التطور الوطني والدولي قدقادنا إلى الاجتهد في فهم بعض  
النصوص وبعض الأوضاع فإن الواقع العملي للحياة بين المسلمين  
وغيرهم من مواطني الدولة الإسلامية لأكثر إشراقا وإنصافا مما يظن  
بعض الجامدين . ويروج له بعض المتعصبين من الغريقين جمِيعا .  
ويشيره بينهم من حين إلى حين أعداء وحدتهم المستفیدون من فرقهم  
وهوائهم وضعفهم من الغربيين والشرقيين على حد سواء .

ففي مأثور السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم . قيامه لجنازة  
يهودي وقوله حين سئل : أتفهم لجنازة يهودي يا رسول الله ؟ : أليست

نفساً<sup>(٣٨)</sup> ومنها أنه مات ودرعه مرهونة عند كتابي<sup>(٣٩)</sup> في بعض قوت أهله . وقد كان أصحابه يكفونه لو أراد . ولكن كان يشرع للأئمة ويعلمها حسن التعامل مع الآخرين .

وفى الصحيح من المروى عن عمر بن الخطاب رضى الله أنه كان يسأل القادمين من الأمصار عن أحوال أهل الذمة . ويشدد في المسألة حتى يقال له : لانعلم إلا وفاء وبراء محضا . فيقول : الحمد لله . ومات وهو يوصى الخليفة بعده خيراً بأهل ذمة المسلمين . وأن يقاتل من ورائهم - يعني بمحميم - ولا يكلفهم فوق طاقتهم .<sup>(٤٠)</sup>

ولإذا قفزنا عبر القرون المتواترة من تاريخ الإسلام نجد في القرن الميلادى الحالى شهادة من المعتمد البريطانى في مصر نشرتها الصحف البريطانية في ٢٦/١/١٩١١ م نصها (إن المسلمين والأقباط يعيشون معاً بهدوء واطمئنان بصفة عامة . إلذا ما ترکوا وشأنهم . وإن أسوأ خدمة يمكن أن تقدمها - يعني الانجليز - للأقباط هي أن تكون معاملتهم كجماعة أو طائفة منفصلة ) .<sup>(٤١)</sup>

ولم يغب ذلك عن الفقهاء فقرر القرافى في معنى البر بهم أنه : (الرفق بضعيفهم . وسد خلة فقيرهم . واطعام جائعهم . وكساء عارفهم . ولنقول لهم على سبيل التاطف والرحمة . واحترام

إذايتم في الجوار مع القدرة على ازالته لطفا بهم لاخوفا . والدعاء  
لهم بالهدایة وأن يجعلوا من أهل السعادة ، ونصيحتهم في جميع  
أمورهم . في دينهم ودنياهם . وحفظ غيتهم . إذا تعرض أحد  
لأدیتهم . وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم  
ومصالحهم . وإصلاحهم إلى جميع حقوقهم ) .<sup>(٤٢)</sup>

ذلك هو ما سعى به في مطلع هذا البحث مقتضى الأخوة الإنسانية  
التي عاش في ظلها المسلمون وغير المسلمين . فهل لأحد بعد ذلك  
مطلوب ؟ وهل فوق هذا البر والفضل من بر وفضل ؟ ولذا قال على  
رضي الله عنه لواليه على مصر ( وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة  
لهم ... فانهم صنفان : أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق )<sup>(٤٣)</sup>  
وصدق الله تعالى :

( قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا . وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل  
وإسحاق . ويعقوب والأسباط وما أوى موسى وعيسى وما أوى  
النبيون من ربهم . لأنفرق بين أحد منهم . ونحن له مسلمون ) .<sup>(٤٤)</sup>

## الحالات والمراجع

- (١) سورة الحجرات : ١٣.
- (٢) الإمام أحمد ، المسند . وقد صححه ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم . ط محمد حامد الفقير ، ص ١٤٤ .
- (٣) انظر قواعد الأحكام في مصالح الأئم . لسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام وعل الأخص ج ٢ ص ١٤٢ . ومقدمة الأشباه والنظائر للسيوطى . والأشباه والنظائر لابن نجيم ص ٩٠ . والمدخل الفقهي للأستانة مصطفى الزرقا ج ٢ ص ٩٦٩ .
- (٤) سورة المحتلة . ٨ . ٩ .
- (٥) المصباح المنير . مادة بر . ومادة قسط . وأنظر : زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي . ج ٨ ص ٢٣٧ .
- (٦) سورة المائدة . ٥ .
- (٧) انظر في تفصيل ذلك . أحكام الأسرة في الإسلام . لأستاذنا الشيخ محمد مصطفى شلبي ط بيروت سنة ١٣٩٧ھـ ١٩٧٧م . ص ٢٣٠ .
- (٨) سورة العنكبوت : ٤٦ .
- (٩) يوسف القرضاوى . غير المسلمين في المجتمع الإسلامي . القاهرة ١٩٧٧ . ص ٦ .
- (١٠) سورة الأنعام : ١٠٨ .
- (١١) سورة آل عمران : ٢٨ .
- (١٢) سورة النساء : ١٤٤ .

- (١٣) سورة الجادلة : ٢٢ .
- (١٤) يوسف القرضاوى . المصدر السابق . ص ٦٩ - ٧٠ .
- (١٥) معناه متفق عليه . وهو في البخارى بلقط مختلف . انظر : محمد فؤاد عبد الباقي المثلوث والمرجان فيها اتفق عليه التبيخان . ج ٣ حديث رقم ١٩٥٥ . ص ١٨٨ .
- (١٦) انظر نصها الكامل في : محمد سليم العوا . في النظام السياسي للدولة الإسلامية . ط ٦ . القاهرة ١٩٨٣ ص ٥٣ - ٥٩ .
- (١٧) انظر ترتيب هذه الأحاديث في : يوسف القرضاوى . المرجع السابق . ص ١٢ وكلها أحاديث صحيحة .
- (١٨) أبو يوسف . كتاب الخراج . ص ٧٨ حيث يوى نص الكتاب .
- (١٩) أبو يوسف . المصدر السابق ص ١٥٥ و ١٥٩ .
- (٢٠) انظر : عبد الكريم زيدان . أحكام التبرئ والمستأمين . ط بيروت ١٩٧٦ ص ٢٢ . ويونس القرضاوى . ص ٧ . وفي الاستعمال القرآني والنبوى للكلمة . ذمة . انظر : فهمى هويدى . مواطنون لا ذميين . ط القاهرة ١٩٨٥ ص ١١٠ - ١١٢ .
- (٢١) عبد الكريم زيدان . المصدر السابق . يوسف القرضاوى . المصدر السابق .
- (٢٢) فهمى هويدى . المصدر السابق وهو ينقل عن : صبحى محمصاف : القانون والعلاقات الدولية في الإسلام .
- (٢٣) تاريخ الطبرى . لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى . ج ٥ ص ٢٥٠ . وقد جمع فهمى هويدى في المصدر السابق (ص ١٣٦ - ١٣٨) تصوصاً كثيرة تدل على هذا .
- (٢٤) المصدر نفسه . ص ٢٥٦ - ٢٥٧ وفيه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أجاز ذلك وحسنه .
- (٢٥) وهبة الزحيل . آثار الحرب في الفقه الإسلامي . ط ٢ ص ٢٠٩ - ٢١١ .
- (٢٦) البلاذرى . فتوح البلدان . ط بيروت ١٩٥٨ . ص ٢١٧ .
- (٢٧) و(٢٨) وهبة الزحيل . المصدر السابق .

- (٢٩) أنظر لتفصيل ذلك : وهبة الوحيل . المصدر السابق . ص ٧٠٥ - ٧٠٦ .
- (٣٠) تفصيل ذلك . وتأويله في : أستاذنا الشيخ محمد مصطفى شلبي تعليل الأحكام . ط ١٩٤٧ ص ٣٨ . وبذكر الشيخ محمد متولى الشعراوى (الشورى والتشريع ص ٢٢) أن المؤلمة عليهم هم أهل الكتاب . وهذا وهم فالصحيح أنهم كانوا من مشركي العرب حديث الإسلام وكانوا يعطون سهلاً من الزكاة لتبثيمهم على الإسلام .
- (٣١) أنظر المراجع المشار إليها آنفاً بخصوص هذه المسألة .
- (٣٢) يوسف القرضاوى . المصدر السابق ص ١٠ . حيث ينقل عن مطالب أولي المهى شرح غاية المدى . وهو من كتب المتناللة . ج ٢ ص ٦٠٢ - ٦١٣ .
- (٣٣) القرافق . الفروق . ج ٣ ص ١٥ .
- (٣٤) يوسف القرضاوى . المصدر السابق ص ١٠ . والخبر بتفصيله في ترجمة ابن تيمية الموسعة التي كتبها العلامة أبو الحسن التدوين فيراجع .
- (٣٥) القرضاوى . المصدر السابق . ص ١٢ وهو ينقل عن حاشية ابن عابدين .
- (٣٦) سنن البيهقي . ج ٣٤ .
- (٣٧) القرضاوى . المصدر نفسه . ص ٤٢ .
- (٣٨) الحديث رواه البخاري وغيره .
- (٣٩) القرضاوى . المصدر السابق . ص ٤٩ . والحديث في صحيح البخاري .
- (٤٠) الخراج لأبي يوسف . ص ١٣٥ .
- (٤١) مصطفى النقلى . الأقباط في السياسة المصرية . ط القاهرة . ص ٣٨ .
- (٤٢) القرافق . المصدر السابق . ص ١٥ .
- (٤) نسخ البلاغة . بشرح الإمام محمد عبد الله . ج ٤ . ص ٥١٨ (ت : عبد العزيز سيد الأهل) .
- (٤٤) سورة البقرة : ١٣٦ .

## الفتنة الطائفية : من المستفيد ؟ وكيف يكون العلاج ؟ \*

الفتنة الطائفية هي الحدث الأهم اليوم على الساحة المصرية المائحة بعشرات الأحداث . وعشرات الأسباب لشغل الناس . ومنذ كشف النقاب عن أحداث سوهاج وأسيوط والكتاب في الصحف المصرية كلها يتناولون موضوع الفتنة الطائفية بتوجهات شتى . إلا أن

---

دكتور محمد سليم العوا . جريدة الشعب ٢١ مارس ١٩٨٧ . وقد كتب الأستاذ عادل حسين في تقديم المقال ، ومقال الدكتور ميلاد حنا الذي ياق نصه مايل : حزب العمل واضح وحازم في قضية وحدة الأمة المصرية وصفوف حزبنا مفتوحة أمام إخواننا الأقباط لكي نعمل معًا من أجل نهضة الوطن وضرب أعدائه وقد تصور البعض أن موقفنا هذا بعيد عن باق الأئحة في التيار الإسلامي . ولكن ثبتت المواقف المتالية للتحالف الإسلامي أن هذا التصور غير صحيح . فبرناجنا كان واضحاً وصريحاً .. وما اعلنه الأستاذ حامد أبو النصر . وما كتبه الدكتور محمد سليم العوا في جريدة الشعب .. كان يؤكد الإنسان والمصلق .. وأعتقد أن من حقنا أن يؤكد أن التحالف أكبر من أن يكون حزباً فيها أعلاته وما نمثله من روح أمتنا ونطليعها إلى النهضة . إلا أن حماية وحدة الأمة أصبحت تتطلب حركة قومية عملية في الشارع فالشعب =

الجماع بين الكاتبين جمِيعاً هو توجيه الاتهام إلى أيدٍ أجنبية بالخاد  
أسباب هذه الفتنة . واصطناعها . بل وايجادها من العدم .

وكثر من الكاتبين حدد المهمات التي يوجه الاتهام إليها . أو تحوم  
الشبهة حولها . وكان أوضح ما كتب في ذلك وأصرحه هو ما كتبه  
الأستاذ أحمد بهجت في عموده الشهير «صندوق الدنيا » في أهرام  
الأربعاء ١١/٣/١٩٨٧ في هذا المقال يتم الأستاذ أحمد بهجت  
بوضوح وصراحة يخسban له : اسرائيل بأنها المستفيد الوحيدة من بنر  
بذور الفتنة الطائفية في مصر .

بل أنه ينقل عن مصادر إسرائيل نفسها أن هذا السعي حيث يكتمل هدفاً صهيونياً استراتيجياً. خلال التسعينات من هذا القرن، غایته الانهاء بمصر ثم السودان ولibia وغيرها إلى دولات صغيرة بلا نفوذ حقيقي. ولا قوة فاعلة. تعيش جميعاً - عندئذ - تحت رحمة

هو صاحب القضية ، ويجب أن يمسكها بيده ليطمئن على مصيرها وهذا ما طالب به د . محمد العوا في مقاله ، وقد عرضنا الاقتراح على المجاهد الوطني اللامع د . ميلاد حما فتحمس للتحرك في هذا الاتجاه . وقد لا يتفق الأستاذان في كل النقاط وكذلك قد اختلف معها بدورى في هذه النقطة أو تلك . ولكن لانشك أن صدق النية يجمعنا جميعا فنجاوز الخلافات الفرعية لنصل إلى الهدف الكبير النيل .  
ولنتحرك إذن قبل ان يفوت الوقت ..

الكيان الصهيوني الذي سيكون - في زعمهم - منفرداً بالقوة العسكرية . والتفوق التكنولوجي .

والشواهد على صدق هذا الاتهام لا تُحصى . فالمواجهة العسكرية التي انتهت بأكبر نصر لعمر حفقة الصهيونية : معااهدة السلام مع مصر . واجهضت بهذه النهاية ملحمة النصر المصرية العربية في رمضان ١٣٩٣هـ لا يؤمن - من جانب إسرائيل - بتجددها مرة أخرى أو مرات . حتى تحقق الأمة العربية . بل الأمة الإسلامية . أملها في تطهير الأرض المقدسة من حكم العنصرية الصهيونية وطغيانها وبغيها ، ولا سيل إلى منع هذا التخوف من مواجهة عسكرية جديدة إلا باغراق مصر - ومصر على وجه الخصوص . ومصر أولاً . ومصر آخرها - في مستنقع لا يخرج من خلال نصف قرن أو يزيد . وإن خرجت فهي ستكون محظمة القوى . متهالكة البشائر . لا تفكك إلا في نفسها . وعدها قد أصبح في ذاتها . فلا مجال حينئذ للتفكير في إسرائيل . أو غيرها من الأعداء استثنائيين .

ويساند إسرائيل في أحلامها هذه ، وفي تدبيرها واصطناعها لأحداث الفتنة الطائفية في مصر . قوى أجنبية متعددة تنسى - حين يكون الموضوع تحطيم القوة المصرية العربية الإسلامية - كل خلافاتها العقدية والمذهبية ، لتفق على طعن مصر في مقاتلتها كلها : الأزمة

الاقتصادية . وافتقار العدالة الاجتماعية والقضاء على ثمرات الاستقلال السياسي والاقتصادي النسبي . والاكتار من الديون تمهد لاستكمال احكام القبضة القاتلة على المدين العاجز عن الوفاء . وأخيرا التفريق بين أبناء الأمة باستخدام العاطفة الدينية التي يرى كل مصرى نفسه جديرا بالاستشهاد دون المساس بمقاماتها وحرماتها . مسيحيا كان أم مسلما .

ولذا كان بعض محرري الصحف الحكومية قد طالبوا بحراة . يحصلون عليها ، بأن يكون الخل الوحيد لمحنة الفتنة الطائفية هو : مزيد من الخزم من جانب الحكومة ومزيد من القوة والهيبة . فإن هذا ليس في حقيقته إلا دعوة إلى مزيد من الخل البوليسي الذي أخفق حتى الآن - وسيتحقق دائما - في حل أية مشكلة لها طابع فكري أو عقدي لأن الإدارة التي تمارس هذا الخل ليست مؤهلة بطبيعة تركيبها التنظيمي والتدربي لمواجهة المشكلات الفكرية والعقائدية ، ولأن أطراف هذه المشكلات يتعاملون دائما - أو عادة - مع المؤسسة البولييسية تعاملهم مع الأعداء الذين يحدرونهم . ويتوافقون الوجه لهم بمشاعرهم أو خواطرهم أو حتى مخاوفهم .

لذلك فإننا نرى أن العلاج الحقيقى لهذه المحنة الجديدة يجب أن يكون مغايرا للعلاج التقليدى بشقيقه : الشق البوليسي الذى لخصنا

عيه الأساسي . والشق العاطفي الذي يكتفى بذلك مآثر الوحدة الوطنية المصرية . وتردد المجاد التعامل القبطي - المسلم في مختلف مراحل الحياة المتصلة بين أبناء الدينين منذ كان الإسلام مع المسيحية على أرض مصر . ونحن لا ننكر هذه الأجاد . ولا ننساها . بل نذكر معها أن الكنيسة والمسجد للذين أحرقا في سوهاج في ساعة واحدة من يوم الجمعة واحد . بناهما أحد أبناء سوهاج المسلمين . وان مطرانية أبو تبيع كبرى مطرانيات أسipوط مبنية على أرض تبرع بها الوطنى المعروف محمد بك همام . من أعيان النخبة . وما كان هؤلاء ليصنعوا ذلك إلا وهم يعتقدون أن أبناء مصر جمِيعاً يتوجهون بدينهم إلى رب واحد يعبدونه جمِيعاً . ولأن اختلاف الشعائر الظاهرة بين المسلمين والأقباط . ولأن تباينت بعض العقائد . إن المحور الذي يدور أبناء الدينين حوله واحد : عبادة الله تعالى والإيمان بالرسالة والرسول .

ومع ذلك كله . فإن تذكر هنا والتذكير به لا يكتفى لعلاج محتتنا الطائفية الجديدة .. وإنما العلاج يقتضى تضافر القوى الوطنية والمذهبية جميعاً للتتصدى لعوامل الفتنة وأسبابها والوقاية من تجددها . وهو محتمل في آية لحظة ، حتى إن الأنبا باحروم راعي كنيسة العذراء في سوهاج قد اعتذر - فيما نقلته الصحف - عن قبول مساهمة الدولة في اصلاح الكنيسة . ونقلت الصحف عنه - وأرجو أن تكون خطأ -

أنه بدأ في اقامة متاريس من الأسمدة المسالع أمام الكنيسة لحمايتها من أي اعتداء جديد وليس ذلك إلا دليلا على أن الجرح الذي أحدثه العدوان الآثم على الكنيسة لم يتصل في نفس راعيها . بمحضر الموساد العاطفية وإعلان حسن النوايا الذي قام بها فضيلة المفتى وفضيلة وزير الأوقاف .

ولذلك فإنه ينبغي أن يأخذ تضافر القوى الوطنية والدينية – هذه المرة – شكلا عمليا مباشرا وفوريا . فتكون في القرى والمدن والأحياء لجان شعبية خالصة ليس فيها عناصر رسمية أو حكومية مهمتها أمران :

أوها : ترسيخ روح الأخوة الإنسانية والدينية بين أبناء مصر جميعا . وعلى الأنصار بين الأقباط والمسلمين : حبا مصر وخوفا عليها وضنا بها أن تحولها الفتن الضاربة إلى لبنان آخر . بل أن الموقف في مصر أشد خطرا وأبعد أثرا ألف مرة منه في لبنان ..

وثالثها : حماة أماكن العبادة والمقدسات الدينية كلها من أية محاولة للعبث بأمنها أو تعریضها للخطر .

وإذا كانت الحياة المصرية اليوم تتجوّج بمتطلبات المعركة الانتخابية من الدعاية للأفكار والبرامج . ومن اجتماع الناس للقاء، المرشحين أو استقبالهم . وللتدارس في البرامج الانتخابية المطروحة فإن هذه

الحركة الدائبة هي أنساب الأوقات للبدء في تكوين اللجان المطلوب  
تكوينها .

ولاشك أن هذا النداء – بل هذه الاستغاثة – توجه أول ماتوجه  
إلى القوى الوطنية التي تحمل الإسلام أساس برنامجه وتأتي في مقدمتها  
جماعة الإخوان المسلمين التي تحالفت مع حزب العمل والأحرار في  
هذه المعركة الانتخابية . فقواعد هذه الجماعة التي رأينا تأثيرها وانتشارها  
في المعركة الانتخابية الماضية ( ١٩٨٤ ) وفي تشيع جنازة الراحل  
الكرم الأستاذ عمر التلمساني . قادرة بانضباطها وحسن فهمها لرسالة  
الإسلام على السعي منذ الآن لتكوين هذه اللجان في كل قرى مصر  
ونجوعها : من أنفسهم ومن يستجيب لهم بصرف النظر عن أي إنتفاء  
أو اختلاف سياسي أو حزبي حقيقي أو مصطنع فإن مصر فوق الأحزاب  
والقوى السياسية جميعاً . لا يقيها ويخفظها لأبنائها إلا اتحادهم في وجه  
عدوها . واستمساكهم بهدينهم الإسلامي والمسيحي في وجه صيغات  
الإخلاص الramie إلى تفريغ البلاد من روحها . وموجات التحرير  
الرامية إلى زرع الحقد والكراء في نفوس شعبها .

والخطاب في هذا النداء – بل الاستغاثة – يتوجه ثانياً إلى القوى  
القبطية القومية والمحليّة أن تمدّ يد القبول أو يدّ المبادرة إن لم يبادر  
غيرهم إلى تكوين تلك اللجان الشعبية الجادة الصادقة في كل مكان

يجتمع على الحياة فيه أقباط ومسلمون ، ليتعاون الجميع على حماية حق الجميع في الحياة وفي ممارسة تدينه كما يدين به ويعتقد فيه .

والنداء - والاستغاثة - توجه ثالثا وأخيرا إلى الأحزاب السياسية الرسمية جمعيا وإلى المرشحين في مجلس الشعب كلهم : أصحاب القوائم والتنافسون على المقاعد الفردية أن يجعلوا هما أصلًا من هموم معركتهم الانتخابية الحالية معالجة أسباب الفتنة وكشف كذب الادعاءات التي روجت لوقعها والحقيقة بين ذئابها وبين الولوغ في دم المقدسات المصرية المسيحية والإسلامية مرة ثانية .

أما الحكومة وعلى الأخص الأجهزة البوليسية فيها فإن أملنا كبير في أدائها لدورها بمعنى الدقيق المتمثل في منع الجريمة وتعقب المجرمين ثم تسليمهم إلى النيابة العامة والقضاء العادى . وفي لا تتجاوز ذلك إلى ممارسة دور لم تستعد بحكم تكوينها التنظيمي والتدربي له . إلا إذا استطاعت أن تعين القائمين به عليه . وتيسر لهم تحقيق غاياته النيابية وأهدافه السامية في وحدة الأمة وتوادها .

وق الله مصر كل سوه وشرح صدور قياداتها المسلمة والقبطية للإستجابة لهذا النداء . انتقام لفتنة أكبر لن تصيب الذين ظلموا خاصة . بل ستتصيب الجميع الماشين فيها والقاعدین عن منعهم على سواء .

## بالحوار والتحرك الشعبي وليس بالأمن المركزي

اتصل بي الأستاذ عادل حسين رئيس تحرير « الشعب » .  
- وهو صديق قديم منذ الستينيات - راجياً أن أعلق بالرأي  
على ما كتبه د. محمد سليم العوا حول افتتاحاته في معالجة  
الفترة الطائفية من خلال الحوار بين كافة الأطراف ثم التحرك  
الشعبي لكافة القوى الوطنية والدينية وقد حذر سيادته من قصر  
العلاج على الأساليب البوليسية والإجراءات الأمنية .

● وقد شعرت من اهتمام رئيس التحرير على أن يجعل  
الحوار متصلة بين أطرافه كافة . أن هذا الاهتمام دليل حيوية  
واصرار ومشاركة من جريدة معارضة لتحاشى احتلالات  
التفاهم والتدهور لأحداث بدأت منذ شهور ولكنها كالمعتاد  
دخلت في ظلام « التعميم الاعلامي » إلى أن تفجرت وتتناثرت  
بحيث أصبح من غير الممكن اخفاوها فكان ذلك - سيراً  
وبركه - لأنها فتح المجال لكل مجتهد فتلاقت وتعانقت أصوات  
عاقلة كثيرة فكان الحوار بدلاً من القنابل المسيلة للدموع .

---

دكتور ميلاد حنا . جريدة الشعب ٢١ مارس ١٩٨٧ .

● ولا أعتقد أن الاتصال في كان بسبب انتهاي القبطي - رغم عذرائي بذلك - لأنني أشعر بصدق أن كلاً ممّا يضع الانتماء الوطني لمصر في صدر انتماهاته المتعددة الأخرى وفي لحظات الخطر والمحنة تواري وتضمر بقية الانتماءات إلى جانب الانتماء إلى مصر ومحب مصر وحدها .

وقد لمست ذلك بوضوح وجلاء عندما بادر الدكتور محمد سليم العوا نفسه مع زملاء آخرين من قيادات التيار الإسلامي وبمبادرة منهم لمناقشة ما يجدر لحوار حول ما يمكن أن نعمله سويا .

وعندما التقينا نسيت تماماً أنني قبطي وشعرت أنهم قد نحوا جانباً انتماءهم إلى جماعة الإخوان المسلمين وكانت اللهفة كلها على أمن وسلامة مصر .

جرى الحوار بيننا صافياً نقيناً وشعرت وكأننا نعرف بعضنا بعضاً من سنوات طويلة . وكان واضحاً من الحوار وتسلسلة آراؤنا نتحدث نفس اللهجة ونفس طريقة التفكير .

ومن ناحية الشكل كانت لغتنا العربية واحدة بذات اللهجة المصرية الواضحة وحتى أشكاله وقصمات وجهها فهي واحدة حتى تصورت أن الدكتور محمد سليم العوا هو شقيق من أبٍ وأمٍ وهو

كذلك بالفعل لأن الأب والأم هما مصر.

السخنة وتقاسيم الوجه واحدة أو قريبة ولون البشرة الأسرع واحد لأنها قد تأثرت بشمس مصر التي صهرت المصريين في أقدم أمة ودولة عرفها التاريخ منذ الملك مينا.

لقد تخايلت أن أتحدث عن «عنصرى الأمة» ... وهذا مصطلح ورد كثيراً في أدبيات الحركة الوطنية بعد ثورة ١٩١٩ تخالياً للشيخ الذي أحده الاستعار لتطبيق سياسته المعروفة «فرق تسد» ... وذلك أنني على يقين بأننا بالفعل عنصر واحد بكل ماتحمله هذه العبارة من معانٍ . فمن غير الممكن أن تفرق بين مسلم مصرى ومسيحي مصرى بأى طريق ووفق أى معيار من معايير علم الاجتماع إلا إذا ذكر الاسم ثلاثة أو رباعياً . وقد حرص جيل ثورة ١٩١٩ أن يتحقق هذه الظاهرة الشكلية بأن أطلق على أبنائه وبناته أسماء عربية تعبّر عن صفة مشتركة أو علم من تاريخ الأمة العربية ... ومع الزمن اختفت هذه الفرقـة المفرقة ...

ولنا إذن أن نفخر أن في مصر ديانتين . فنصر هي بحق مهد الديانات السماوية الثلاث وإذا بحثنا فيها قبلها جميعاً وجدنا أن كلمة «أمين» ماهي إلا تردید لكلمة «أمون» المصرية القديمة .

دخلت المسيحية مصر قرب منتصف القرن الأول الميلادي عن طريق القديس مرقص أحد حواري المسيح (وهو الذي كتب أحد الأناجيل الأربع المعروفة باسمه) ومن ثم فالمسيحية أصلية في بلادنا وترجع في أصولها التاريخية إلى مكانة كنيسة روما الكاثوليكية في الفاتيكان.

ودخل الإسلام إلى مصر وقت خلافة عمر بن الخطاب في أوائل عهد الإسلام وكان دخوله بترحيب من أهلها فلم يكن فتحا ولا غزوا كما كان في أقطار أخرى. وظل الإسلام يتشرّف في الشعب الواحد في مصر تدريجياً لعدة قرون إلى أن كان الأزهر فصار منارة للتفكير الإسلامي واشتراك في صياغة الفقه والفكر والتشريع.

ولم يكن في مصر في أية مرحلة من تاريخها الطويل - إلا لغة واحدة لشعبها الواحد. سادت الهروغليفية قرون الفراعنة إلى أن تطورت اللغة فكتب المصريون الهروغليفية بحروف يونانية مع الفاظ جديدة فسادت القبطية لغة واحدة لشعب واحد قرولاً طويلاً إلى أن حلّت اللغة العربية لغة واحدة لشعب واحد لما يزيد الآن على ألف عام.

وهكذا تعايشت المسيحية مع الإسلام في مصر نحو أربعة عشر قرناً وكانت من كل ذلك سبيكة حضارية ليس لها نظير إلا في مصر.

فالمسيحية في مصر حضاريا وتراثا - وبصرف النظر عن العقيدة الدينية - هي مسيحية مصرية في كل ممارساتها وطقوسها وعاداتها تأثرت بكل من تراث المصريين القدماء كما تأثرت بالإسلام.

وفي الجانب المقابل فإن الإسلام في مصر - وبصرف النظر عن العقيدة الدينية - إسلام مصرى متآثر بكل التراث والتاريخ والحضارة في مصر... وعندما أسمع إلى الآذان المصرى وقراءات القرآن في مصر . لا أستطيع أن أمنع نفسي من أن أفكر في الحان الكنيسة القبطية وقداسها وأتصور أن كلا منها متآثر بموسيقى والحان قدماء المصريين .

بل لعلى أصل إلى ما هو أبعد من ذلك . من أن أحد مميزات الشخصية المصرية المعاصرة هو هذه المعاشرة الطويلة للديانتين الرئيسيتين في العالم : المسيحية والإسلام وكيف أن الشعب المصري قد حاول أن يركز ويخلق الضوء على نقط الالتقاء بين الديانتين . وأن يكتشف المساحة المشتركة بينهما وأن يتعد عن مناقشة الفقه والعقيدة فيما يتعلق بنقاط الخلاف أو التباين ومن هنا كانت هذه الشخصية الطيبة الوديعة التي تعى ماحولها ولكنها لا تجهر إلا بما يقبله الطرف الآخر ويبعده عن الفرقة .

وأعتقد أن ما تم في مصر عبر القرون من المعاشرة والتدخل والحياة

المشتركة بين المسلمين والأقباط أدى إلى ترقية السلوك العام .. ما من جلسة تجمع مثقفين مصريين من أقباط و-Muslimين تناقش هذه القضايا ، وألا وتلمس كيف تبادل الأطراف المتناقضة لثبت بالدليل والبرهان ، أن الأخلاقيات والمبادئ الأساسية وبعض القصص الواردة في القرآن والإنجيل واحدة بين الديانتين .

غالباً ما أضحك أو أخوّي ابتسامتي تحت كمي ، لأنني أعلم .. أكاديمياً وعملياً وعلمياً .. أن هنا نقط خلاف جوهري من الناحية العقائدية والدينية ، ولكن الحضارة والأدب يجعل المشاركون يبرزون المسطح المشترك بين الديانتين لكي يؤكدوا أن مصر شعب واحد ينحدر من أصول واحدة ويسعى أن تبقى هذه الوحدة قوية تناطح الزمن . ومن هنا فإنه يفوت الفرصة على المزايدين أو مريدي الفرقة والذين يدفعون بجهل إلى شرخ مصر من الداخل .

كثيراً ما يسألني الصحفيون الأجانب : هل ماحدث في لبنان يمكن أن يحدث في مصر؟.. كنت ولازلت أقطع بأن مصر ليست لبياناً ولن تتلبّن مصر .

وكثيراً ما يسألني الصحفيون العرب : هل ماحدث في إيران يمكن أن يتكرر في مصر؟.. كنت ولازلت أقطع بأن مصر بتاريخها وتراثها غير إيران ولن تسحّل مصر إلى إيران .

لقد علمنا التراث المسيحي أن «كل بيت ينقسم على ذاته يخرب». كما علمنا التراث الإسلامي «أن الفتنة أشد من القتل» وهكذا أدركنا جميعاً أنه ينبغي أن نعيش معاً في وطن واحد من خلال دستور واحد وقوانين مشتركة واحدة.

لقد نص الدستور المصري في الفقرة الثانية من المادة الأولى على أن «الشعب المصري جزء من الأمة العربية يعمل على تحقيق وحدتها الشاملة» وأعتقد وأتمنى أن يستمر هذا النص حتى وإن جرت تعديلات في موقع آخر من الدستور.

وتنص المادة الثانية من الدستور أن «الإسلام دين الدولة واللغة العربية لغتها الرسمية وأن مبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع».

وليس لدى حساسية حول موضوع أن تكون الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع. لأنها كذلك عبر قرون طويلة من تاريخ مصر وقد قبل الأقباط - بحكم الرباط والنسيج الواحد - أن يكون في مصر قانون واحد لشعب واحد. فيما عدا قوانين الأحوال الشخصية (والتي تختص بالزواج والطلاق). أما كل ما يتعلق بالمعاملات والتعامل وقوانين المواريث وما أشبه فهو محكمه بقواعد

عامة وعبر القانون المدني الواحد والمتخوذ في كثير من أصوله من  
الشريعة الإسلامية .

ولعل وجه الخلاف يبرز عندما يتعلق الأمر بالعقوبات الجنائية  
والعقوبات . ولكن الخلاف هنا ليس بين الأقباط وال المسلمين . لأن  
المشاهد هو أن فريقا ضخما من المصريين - أقباطا ومسلمين - يرون أن  
تطبيق هذه العقوبات عن طريق الحدود قد لا يتفق مع مقتضيات  
العصر وينبغي إيقاف النصوص في هذا الشأن مثلا اتفق على إيقاف  
النصوص التي تنظم أحوال الحرب وتوزيع الغنائم أو تنظيم العلاقة مع  
العبيد وعتقها .

\* \* \*

لقد مرت على مصر أعاصر سابقة للفتنة الطائفية كان آخرها ما  
انتهى بمساورة الزاوية الحمراء عام ١٩٨١ ولكن الله سلم وعادت مصر  
إلى ما كانت عليه من صفاء . ومن غير المعقول أن نترك الأمور تدفعنا  
إلى غير مانشتوى « وليس في كل مرة تسلم الجرة » . لأنه من غير  
المتصور أن تكون مصر محسنة طبيعيا ضد الفتن الطائفية كما لو كان  
لديها مصل سحرى . وذلك أن أمر المحافظة على وحدة شعب مصر  
قد أصبح أكثر صعوبة وبالذات في الفترة الأخيرة فالحرب الأهلية في  
لبنان قد استشرت واحتللت الخابيل بالنابل ولا زالت نيرانها تشتد كل يوم

رغم مضي مايزيد على عشر سنوات على قيامها . وال الحرب العراقية الإيرانية تزداد اشتعالا بعد أن يتضح أن إسرائيل وأمريكا يقدمان السلاح لإيران حتى تظل الحرب مستمرة لخدمة تحطيمات إستعمارية تهدف إلى ادخال عدد آخر من دول المنطقة في مستنقع الطائفية والتشرذم .

لقد وقعت إسرائيل معاهدـة كامب ديفيد ولكنـها تأكـدت أنـ الشعب المصرـى راـضـى التـطـيـعـ معـهاـ ولـذلكـ فـانـ الصـرـاعـ الـهـادـئـ قدـ يـنـقـلـبـ فـجـأـةـ وـدونـ مـقـدـمـاتـ إـلـىـ صـرـاعـ سـاخـنـ يـصـعبـ التـحـكـمـ فـيـهـ أوـ التـنبـؤـ بـتـائـجـهـ .

وـمـنـ هـنـاكـ أـنـ هـنـاكـ مـنـ يـخـطـطـ لـمـصـرـ لـكـىـ تـعـرـضـ بـيـنـ الـخـيـنـ وـالـآـخـرـ لـأـعـاصـيرـ الـفـتـنـةـ وـمـنـ هـاـيـضاـكـانـتـ أـهـمـيـةـ تـضـافـرـ القـوـىـ الـوطـنـيـةـ لـقـاـوـمـةـ هـذـهـ الـأـعـاصـيرـ الـتـىـ ظـهـرـتـ مـؤـخـراـ وـالـتـىـ سـيـسـتـمـ ظـهـورـهـاـ بـيـنـ الـخـيـنـ وـالـآـخـرـ وـحـتـىـ نـهـاـيـةـ الـقـرـنـ فـيـهـ يـبـدوـ .

\* \* \*

أـخـلـصـ مـنـ كـلـ هـذـاـ إـلـىـ تـأـيـدـ الـفـكـرـةـ الـمحـورـيـةـ الـتـىـ طـرـحـهـ الـأـخـ العـزـيزـ دـ.ـ مـحـمـدـ سـلـيـمـ العـواـ منـ أـنـهـ ،ـ يـنـبـغـيـ أـنـ يـأـخـذـ تـضـافـرـ القـوـىـ الـوطـنـيـةـ وـالـدـيـنـيـةـ .ـ هـذـهـ المـرـةـ .ـ شـكـلاـ عـمـلـيـاـ وـمـبـاشـرـاـ وـفـورـاـ فـتـكـونـ فـيـ

القرن والمدن والأحياء بجانب شعبية خالصة تكون مهمتها ترسیخ روح الأخوة الإنسانية بين أبناء مصر جميعاً ثم حماية أماكن العبادة وال المقدسات الدينية كلها من أي محاولة للعبث بأمنها أو تعريضها للمخطر .

إن هذا الاقتراح العملي يجد صدى في نفسى يقيناً . ويدل على توارد الخواطر فقد كنت قد طرحته عام ١٩٨٠ - وفي ظروف مشابهة - في كتابي *نعم أقباط ولكن مصريون* لأن يقيني أنه لن يحتمي وحدة شعب مصر إلا شعب مصر ذاته . كما وأن أيام قوى خارجية لن تستطيع أن تعبث إلا إذا كان لفعلها صدى وتعاطف من داخلنا .

ولتأذنوا لي - كمهندس أتصف بالواقعية - أن أحقب بتأييدي على هذا الاقتراح بالإضافات الآتية :

١ - كما قامت كافة الأحزاب بأعمال موحدة في السابق . فإن الأحزاب المصرية بما فيها وفي مقدمتها الحزب الوطني الديمقراطي مدعاة للمبادرة بتكون لجنة عامة للمحافظة وتدعم الوحدة الوطنية من كل الأحزاب والقوى الوطنية والشخصيات العامة وأن يكون ذلك ضمن وعلى قمة اهتمامها أثناء المعركة الانتخابية وما بعدها .

٢ - أن تضم هذه اللجنة العامة واللجان الفرعية في الأقاليم والقرى كافة العناصر الشريفة والمقبولة من المواطنين دون التقيد بالانتماء الحزبي لأن هذه قضية قومية تمس الوطن كله وتشجاوز الأحزاب وسوف تجد في كل قرية مجموعة من بسطاء المصريين يحرصون على الوحدة الوطنية وهم احترام من جميع الأطراف والأحزاب .

٣ - على أقباط مصر أن يتحركوا ويتزعوا عنهم كل توجه سلبي خصوصا وأن المبادرة الآن جاءت من الاتجاه الإسلامي في مصر وهذه مكرمة مضيئة في تاريخنا .

٤ - على الحكومة أن تكرس جهودها من أجل رفع التوعية من خلال أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة . علاوة على اهتمام رجال التعليم والجامعات بنشر وتنمية واذكاء روح الوحدة الوطنية .

٥ - إن وجود خطط واضحة لحل مشاكل الناس الحياتية واليومية لمواجهة الغلاء والمساكن التي تنهار وتخلّي إدارياً والمواصلات وما إليها . ووضوح أن هذه المشاكل وغيرها ستحل في زمن معقول . إن هذا المناخ من خلال حوارات ديمقراطية هو السبيل لزرع فتيل القلق من الشباب للإطمئنان على مستقبله ومن ثم تقبل حملات الوعي السياسي والوطني والاجتماعي .

إن تحقيق مكاسب وانتصارات في مجال الوحدة الوطنية ليست مسألة سهلة وتحتاج إلى نفس طويل وإلى تضافر كل القوى الوطنية الحية لمصر.

، جنب الله بلادنا المكاره وحفظها من كل سوء .

## وعد ....

لقد كان الهدف من شر هذا الخوار أن تكون كلمة جيلنا في مسألة الأقباط والإسلام قد قيلت وسجلت . شهادة لنا أو علينا .

وفي الوقت الذي طلب إلى فيه أن أراجع تجارب الطبيع كانت الصحف المصرية كلها تتناول هذه المسألة . من خلال تناولها لعنة الفتنة الطائفية التي اندلعت نيرانها في بعض مدن مصر وقرابها خلال الشهور الأولى من سنتنا هذه .

وقد كان التناول الصحفي للمسألة في بحثه تناولا غير مجد . لا في التأثير على الأحداث . فقد كانت بدأت وانتهت قبله . ولا في وضع المسألة وضعها الصحيح . وعرضها العرض العلمي السليم لأن الذين كتبوا فيها كانوا - جلهم - غير مؤهلين للتناول العلمي الدقيق . فاكتفوا بتناول عاطقى هادئ وصحيح أحيانا . ولكن كما قلت غير مجد . وصاحب ومثير في أحيان أخرى . فجمع إلى عدم جدواه ضرر التناول الخاطئ . والتأثير الخطير . على العقول والآفوس .

وأهم أمثلة هذا النوع الأخير من التناول ما كتبه كتابان . بعدها  
مرموقين . في صحيفتين يوميتين حكوميتين . في أسبوع واحد يلمحان  
فيه - بل يصرحان أحياناً - باتهام التيار الإسلامي باثاره الفتنة  
الطائفية . مباشرة أو تسيباً . بل يصرحان أحياناً . بأن جماعة الإخوان  
المسلمين على وجه الخصوص هي المسؤولة عن ذلك .

بل إن هذين الكاتبين بلغا من رغبتهما في إلقاء التهمة على التيار  
الإسلامي حد استكبار أن يكتب بعض الإسلاميين في الصحف التي  
يتاح لهم الكتابة فيها . مستنكرين الأحداث الطائفية . مبينين رأى  
الإسلام في العلاقة الواجبة بين المسلمين وإنوائهم في الوطن من غير  
المسلمين . ومبررين عن تصورهم لحقيقة موقف الأقباط . بوجه  
خاص . من الإسلام وشريعته .

وقد شذ عن هذين النوعين من التناول الصحفي للمسألة عدد قليل  
جداً من الكتاب . جمعهم أنهم مشتغلون بالقضايا العامة اشتغال  
المفكرين لا بإشتغال المراقبين الصحفيين . ونشر آراء هؤلاء شهادة  
 مضافة إلى ماضيته صفحات هذا الكتاب . من آراء بعض أبناء جيلنا  
أن في مصر - دائمًا بإذن الله - من يعرفون الحق فيعبرون عنه بصدق .  
ويتوجهون من الأمة إلى خواصها وعقولها . لا إلى غرائزها وشهواتها .

ولى أهل الرأى فيها لا إلى المغوغاء والدھماء . ولدى أولى الألباب لا إلى أصحاب المناصب والألقاب .

وظنى - بل يقيني - أنه بمثيل هؤلاء . ويتناول كتناوهم بهذه القضية . نحفظ للأمة عقلها . ويتساڭ بنيان « جماعاتها » المكونة « لكل منها » .

والدفاع عن التيار الإسلامي وعلى الأخص جماعة الإخوان المسلمين فيها رمى به من إثارة للفتنة الطائفية أو التحریض عليها . أو التهديد لها . ليس محله هذه الصفحات . فضلاً عن أن سخف الاتهام وتفاهة ما أقيم عليه من أسباب يجعلان التصدى له من فضول الكلام الذي يتره العقولاء أنفسهم عنه .

لكن بعض التناول الجاد يقتضي التنويه به والإشارة إليه . ففي ملاحظات طارق البشري الأربع (المصور ٢٧ مارس ١٩٨٧) جدّ كثير . وتأمل ينبغي التغفر فيه بقدر ما يستحقه . لصفاء النظرة التي صدر عنها . ودقة العدالة التي صيغ بها . ولمسه للمسائل ذات الحساسية الفائقة بصدق ووضوح .

---

ينبغي أن تذكر من هؤلاء - طارق البشري . عادل حسين . وفهمي هويدى .

في الملحوظة الأولى : يحدد طارق البشري ما يشيع العصبية وروح المحاربة لدى أية جماعة بأنه ما يلحقها من عدوان أو ما يشيع لديها من افتقاد للأمن الجماعي . ونحن على اتفاق تام مع طارق البشري في أن من واجبنا أن نحافظ . بكل ما أوتينا من وسائل . على حق كل جماعة من الجماعات المكونة لهذا الوطن في المحافظة على نفسها وأفرادها . وإلا ففتحنا باب التعصب الذي يهدد الكيان الأكبر - كيان مصر نفسها - بتدمير لا يستطيع أن يوقفه أحد .

وفي ملحوظته الثانية : يلمس طارق البشري بمحسّ مرهف أن تكرار حوادث الفتنة الطائفية منذ عام ١٩٧٣ إلى ١٩٨٧ يجعلنا في واقع الأمر في مواجهة نشاط حركي ينشئ في الوجودان حركة مفاصلة ومجانبة بين الأقباط والمسلمين ، وهذه الحركة ستصبح إن لم يتم التصدي لها بسرعة . وبرد فعل مناسب . عادة مصرية تخيل حياتنا إلى عرالٍ مستمر وعنف متكرر يُغفل فيه كل جانبٍ عن حق الجانب الآخر في الماء والهدوء والاستقرار . والبقاء والأمان . في الوطن المملوك للمجتمع والذي يجب أن يكون محروساً ومدافعاً عنه من الجميع . فمن المسؤول عن هذا النشاط الحركي الجديد ؟ ومن بدأه ؟ وأينما كان الفاعل وأينما اكتفى برد الفعل ؟ وأينما دعا إلى وحدة عاقلة في مواجهته وأينما استجاب وأينما لم يستجب ؟ كل هذه الأسئلة تحتاج إلى أجوبة بل إن كل سؤال

يحتاج إلى تحرك حقيقى لإعادة الأمور إلى نصابها الآن . وغدا . وإلى الأبد إن استطعنا .

وأهم ما في الملحوظة الثالثة . بل لعله أهم ما في الملحوظات جمِيعاً . التحذير القارع من . قوله إن أمن القبطى وضمان وجوده السياسي والاجتماعى مرتبطان بإضعاف إسلامية المسلم . فالمسألة على هذا النحو توضع في صيغة علمانية لن تقضى إلا إلى صراع عقائدى ولن يتم إضعاف الإسلام في مصر لحساب الأقباط بل إنه تم في الماضي . ويسعى الساعون إلى إنماهه في الحاضر والمستقبل . لحساب الخصارة الغربية التي تكتسح قبطية القبطى فيما تكتسح من ثوابت هذا البلد .

والمسلمون والأقباط يواجهون في ذلك معاً غول الخصارة الواحدة وهو خطر واحد على الجميع . واجهناه في الماضي عسكرياً وسياسياً واقتصادياً . ولا مفر من أن نواجهه معاً فكرياً وحضارياً .

وفي ملاحظته الأخيرة : يقرر طارق البشري أن التيار المغترب . الذى يسود بيئتنا السياسية والاجتماعية . لا ينكر على التيار الإسلامي حقه في الظهور فقط ولكنه يجحد حقه في الوجود . وفي الاستمرار في هذه الديار . وكأن الوطن لا يتسع له . وخطير هذا التعامل مع الشiar الإسلامي - في نظرينا - خطير ماحق لأنه لا يدفع إلا إلى عمل لا يقرره القانون . وفي هذا النوع من العمل تندم الرقابة الاجتماعية الراسدة .

ويضيع صوت العقل في مواجهة أصوات الاحتجاج على العسف والاضغاف . وينتشر العمل المثير للمشروع في ظل اكتساح العمل العاطفي الأهوج لطاقات الرجال والنساء . التي لا تجد لها بحريا إلا التنظيمات الخفية المنضطبة .

ولما يكمن أن يكون هذا الخوار كاملا إلا بقراءة ملاحظات عادل حسين عن دور التحالف الإسلامي بين الإخوان المسلمين وحزبي العمل والأحرار في مواجهة العلاقة بين الأقباط والإسلام مواجهة صحيحة عاقلة (الشعب ٢٨ مارس ١٩٨٧) . وملاحظات فهمي هويدق البانعة الأهمية التي نشرها في الأهرام (٣١ مارس ١٩٨٧) بعنوان : هوماش على أوراق قبطية .

وإذا كان مجموع هذا الخوار يشير كثيرا من التضاعيا . ويرد على كثير من التساؤلات فإن يقيسي الذي لا يدخله شك أن الإسلام في مصر وانسيجية فيها لا خيار لها إلا أن يعيشها داعمها كما عاشا الماضي كله : إخواننا في وضع واحد تستعصي الأواصر الرابطة بينهما على التفرق والتفرّك .

ويقيسي أن الأقباط - عقلاً لهم ومتدينوهم على الأقل - لا ينتمون شيئا على الإسلام أصلا . ولا يجدون في المسلمين إلا ما يجد المسلمون فييه من أخوة ومودة وعلاقة أبدية لا تصلح الحياة إلا بهما .

بهذين اليقينين معاً أقدمت على بدء هذا الحوار . وبهذا أعتقد  
أني . وغيرى من المشاركين فيه . سنتمر في أداء دورنا في المحافظة  
على هذا الوطن : استجابة لتكاليف دينا . وحرصاً على أمن وطننا .  
وأداء لحقي علينا .

والله وحده المسؤول أن يجعل العمل كلـه خالصاً لوجهـه . وأن  
يتقبل جهـاد المجاهـدين ويجزـى به خـير ما وعـد من جـراءـه . وأن يتـجاوز عنـ  
المـاعـدين . ويهـدى إلى سـبيلـه الصـالـين والـجاـهـلين .

محمد سليم العـرا

## الفهرس

٥	إهداء
٩	تقديم
١٣	الأقباط والشريعة : الوضوح المطلوب
١٧	الأقباط والشريعة الإسلامية : نعم للحوار والوضوح
٢٣	واجب الأقباط العاجل :
٢٧	النظام الإسلامي ووضع غير المسلمين
٥٤	الفتنة الطائفية : من المستفيد ؟ وكيف يكون العلاج ؟
٦٢	الحل بالحوار والتحرك الشعبي وليس بالأمن المركزي .
٧٤	وبعد



رقم الإيداع ٣٧٦٩ / ٨٧

مطابع الشروق





هذا المكتاب

إن مسألة : «الأقباط والإسلام» التي تدور حولها حوارات هذا الكتاب مسألة متتجددة ، لن يكف أعداء مصر المتربيين بها عن السعي لإثاراتها من حين لآخر .

ومن المهم ، لذلك ، أن تكون كلمة الفريقين - المسلمين والأقباط - فيها مسموعة ومعلنة ، ومحفوظة . فإنه إذا كانت الأجيال التي سبقتنا في الحياة على أرض هذا الوادي الطيب المبارك قد استطاعت دائمًا أن تتجاوز عنها وضياعن السفهاء من أبنائهما ، ليخلص الوادي لأبنائه ، مستظللين جمیعاً بظل السماء التي يادین بالعبودية لخالقها أبناء اهل اللال وأبناء الصليب معاً ، فإن جيلنا ينبغي له أن يقول للأجيال التالية كلامته ، ويعلن عقلاً الأمة جمیعاً - مسلمين وأقباطاً - براعتهم وبراءة أهل دینهم - العارفين به والمتبعين لأحكامه - من هذا العدوان الآثم على أهل الأديان وأماكن العبادة المقدسة .

www.SalamAlUmmah.org

**To: www.al-mostafa.com**